مطرانية الروم الأرثوذكس
الكويت

فصح

فرح . صداقة . حرية

مجلّة غير دوريّة تُوزّع داخل الكنيسة
العدد ٧، كانون الثاني (يناير) ٢٠١١

عدد خاص
بالقدّيس

يوحنّا الذّهبيّ الفم

مجلة فصح – عدد ٧، كانون الثاني (يناير) ٢٠١١

مطرانيّة بغداد والكويت
وسائر الخليج العربي للروم الأرثوذكس

أسرة المجلة

رئيسة التحرير

كاتي بنيامين عوض

تصميم وإخراج

فادي وديع عدره

التحرير

الأرشمندريت أفرام الطعمي

الأب يوسف عرب

لؤي شاهين

إليان حبوب

نشكر
كل من ساهم
في إغناء هذه المجلة

الفهرس

كلمة العدد	الأب يوسف عرب	٠١
أيقونة الظّهور الإلهيّ	الأرشمندريت أفرام الطعمي	٠٢
حاجتنا الخفيّة... التّوق إلى المحبّة	خريستو المرّ	٠٤
القدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم	من سنكسار الكنيسة	٠٦
ذكرى الميلاد... عِبر وعظات	فؤاد صليبا الصّائغ	٠٩
اللّباس اللّيتورجيّ في الأسرار المقدّسة	فادي عدره	١٠
الصّلاة في مزامير داود	من موقع «أرثوذكس أونلاين»	١٢
من رسالة القدّيسة أنثوسا إلى ابنها القدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم		١٥
سرّ الإفخارستيّا	نشرة رعيتي	١٨
مذكّرات طفل	الأرشمندريت أفرام الطعمي	٢٠
ميلاد ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح	القدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم	٢٢
أحببت فتكلّمت	فادي عدره	٢٥
أمثال شعبيّة من الكتاب المقدّس		٢٦
استيقظ أيّها النّائم	الأرشمندريت أفرام الطعمي	٢٨

خصصّتْ مجلّتُنا جزءاً كبيراً من هذا العدد للقدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم في محاولة من أسرة التّحرير لجعل أوراق هذه المجلّة أوراقاً ذهبيّةً ، في زمنٍ أصبح الصّدىء فيه هو المرتجى.

من هو القدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم؟ من هو هذا رئيس أساقفة القسطنطنية؟ قيل عنه أنّه العقل السّماويٌّ، عمقُ الحكمة، الملاكُ الأرضيّ والإنسانُ السّماوي، مصلحُ الخطأة وطبيبُ النّفوس وغيرها من الألقاب والأسماء. دُعي هكذا! لأنّه حمل الكلمة الإلهيّة وكرز بها، الأمر الّذي أدّى به إلى أن يُضّطهدَ ويُنفى ويُعذّبَ. ونتعب عاملين بأيدينا نُشتم فنُبارك، نُضطهد فنحتمل ١كور ٤ : ١٢

أي عمل، حتّى الأكثر روحانيّة، لا يتمّ من أجل الله، يؤذي من يقوم به – ق . يوحنّا الذّهبيّ الفم

هذا هو حال كلّ من يحمل الكلمة الإلهيّة، فالكلمة يسوع يسحقنا ليحيينا فنسكن في حضرته. علّمنا الذّهبيّ الفم أنّ الكاهن / الأسقف لا يستخرج استخراجاً ليقوم بأعمال تقديسيّة ، فالكاهن معلّمٌ، مرشد، طبيب، قائد للإيمان المستقيم. الكاهن ليس مندوباً أوموظّفاً، الكاهن أيقونة الله ويعمل من هذا المنطلق ويبدو أنّ شعبَنا لا يعرف هذا.

إنّ عدم المعرفة شرّ كبير ويقنعنا بألاّ نفكّر بالأخطار المخيفة جدّاً – ق . يوحنّا الذّهبيّ الفم

في الكنيسة لا يصوّت الشّعب ديمقراطيّاً لننتخب كهنة أو أساقفة. ربّما في بعض الأحيان يحصل تفاهم وربّما من واجب المحبّة يستمع الأسقف للشّعب وقد يتجاوب إن ارتأى المصلحة. الكلمة الإلهيّة تأمرنا وتبلّغنا تبليغاً وعلى النّاس أن يطيعوا أو يخرجوا. الكلمة الإلهيّة ليست معروضة علينا لنناقشها. هناك نقاش في التّأويلات، التّفاسير وأمور أخرى. لكن إذا تكلّم الله فهو يأمرنا ونحن عبيد لكلمته الّتي أرسلها لنا بواسطة يسوع المسيح أو بواسطة رسله الّذين ذهبوا ليتلمذوا كلّ الأمم فائتمنوا على الإيمان.

هذا فهمه القّديس يوحنّا الذّهبيّ الفم جيّداً وبما أنّه أسقف «رسول» وما على الرّسول إلاّ البلاغ نقل الكلمة الإلهيّة إلى الشّعب وهي ليست من عنده فهو لا وطن له، ولا أخ، ولا أمّ، ولا عشيرة، ولا حزب، ولا تابع، هو أتى إلينا من فوق بواسطة الرّوح القدس الّذي شاء فردّد من ورائه «كما يشاء الرّوح».

فلذلك أسَرُّ بالأوهان والشّتائم والمشقّات والاضطهادات والشّدائد من أجل المسيح، لأنّي متى ضعفت فحينئذ أنا قويٌّ ٢كور ١٢: ١٠

هذا ما عرفه الذّهبيّ الفم، عرف ما سوف يتعرّض له من سبٍّ و إهانات واضطهادات فهمس قلبه مردّداً دائماً وأبداً «كما يشاء الرّوح».

الأب يوسف عرب

أيقونة الظّهور الإلهيّ

الأرشمندريت أفرام الطعمي

الكلمة اليونانيّة المستخدمة للرّسم تنطلق من الجذر الأصليّ المستخدم للكتابة، فالرّسم هو كتابةٌ لكن بريشةٍ وألوان، والكنائسُ، جدرانُها كانت تعلّم المؤمنين الإنجيل مصوّراً في أيقونات، فتقرأه العين لينظرَه العقل ويغتبطَ القلب.

المعموديّة كلمة سريانيّة الأصل وتعني الغطسَ والاغتسالَ، والمعموديّة هي موتٌ ودفنٌ مع المسيح لنقومَ به جُدداً مولودين للحياة الأبديّة. المعموديّة حدَثٌ فيه كشفُ الله عن نفسِه ثالوثاً قدّوساً، آبٌ وابنٌ وروحٌ قدسٌ. المعموديّة هي إعلانٌ جليٌّ للمسيح، إلهاً متجسّداً. وكما يقول القدّيس يرمانوس: «ففي ميلاده ظهر خفيّاً، وفي عماده ظهر جليّاً». والقدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم يقول: «بِعمادِه وليس بِميلادِه ظهر علانيّةً للعالم، فَقَبّلَ عمادِه لم يكن معروفاً من الشّعب. وبظهوره صاعداً من المياه، يعلن أنّه منطلقٌ بِشعبِه الجديدِ المتّحد فيه لِيَهَبَه البنوّة لله الآب السّماويّ، هذه هي أرض الموعد الّتي يحملنا إليها يسوع بعبوره بنا نهر الأردن». المعموديّة كانت برّاً صنعه المسيح وتطهيراً، ليس له وإنّما لكلّ الطّبيعة والخلائق، فطبيعةُ المياه تقدّست وتطهّرت بمعموديّة المسيح. والقدّيس أمبروسيوس أسقف ميلان يقول عن معموديّة ربّنا: «اعتمدَ الرّبّ ذاته ... لم يُعمّد ليُطهّر، وإنّما ليطهّرَ المياهَ، فإذ نزل إليها المسيح الّذي لم يعرف خطيئةً صار لها سلطان على التّطهير، بهذا كلّ من يُدفن في جرن المسيح يترك فيه خطاياه». المسيح بنزوله في نهر الأردن للوقت خرج لأنّه كان بلا خطيئة وبلا حاجة للتّطهّر من خطاياه.

بالمعموديّة تبدّلت طبيعة المياه، فتلك الّتي كانت رمزاً للطّوفان والموت والخوف، باتت بمعموديّة المسيح رمزاً للحياة والبركة والميلاد الجديد.

أيقونة الظّهور الإلهيّ تُعلّم المؤمنين حادثة عماد الرّبّ يسوع في نهر الأردن. فَبِتأمّلنا لها نُعاينُ فيها التّالي:

الشّخصيّة الأساسيّة الّتي تتوسّط الأيقونة، المسيحُ مؤتزراً منديلاً أو في بعض الأيقونات يصوّر عارياً بالتّمام نازلاً في نهر الأردن متقبّلاً العماد من يوحنّا المعمدان ليُتمّ كلّ برٍّ، وللوقت خارجاً من الماء لأنّه كان بلا خطيئة وسيّد هذا الدّهر لم يكن له عليه شيء.

١- **السّماء مفتوحة** ينطلق منها شعاع الآب، إنّه الصّوت الّذي أعلن: «هذا هو ابني الحبيب الّذي به سررت». وبهذا الشّعاع تظهر حمامة تمثّل الرّوح القدس الّذي حلّ على المسيح وشهد لهما يوحنّا المعمدان.

٢- **يوحنّا المعمدان:** يظهر عن يسار الأيقونة مرتدياً لباساً من الجلد مادّاً يمناه على رأس المخلّص معمّداً إياه، «يدك الّتي لامست هامة السّيّد البريئة من الفساد ...»، بهذه التّرتيلة تؤكّد الكنيسة أنّ يد المعمدان بقيت بمرور السّنين سالمةً من دون أن تفسد كَحال الجسد العاديّ، وهي محفوظة في الجبل المقدّس (آثوس).

٣- **نهر الأردن:** في هذه الأيقونة يظهر كأنّه مغارة أو كهف مملوء بالماء وهنا تذكير لمغارة الميلاد، ونرى أيضاً في بعض أيقونات الظّهور الإلهيّ يسوع واقفاً على أبواب الجحيم كالّتي نراها في أيقونة القيامة؛ حيث نزل إلى أعماق الجحيم ليفتديَ الإنسان ويقيمَه إلى المجد الأبديّ، وفي كتابات الآباء تسمّى مياه الأردن «القبر السّائل»، وهو تصوير مسبق للقبر الّذي وُضع فيه المسيح. والشّخصيّات الّتي نراها غالباً في المياه عند أقدام يسوع غالباً ما يكون رجلاً، (يرمز إلى نهر الأردن) وهو يغرف من المياه ويعطيها، ويمثّل الكنيسة الحاضرة الّتي تغرف من محبّة الآب لتعطي من حولها، وشخصاً آخر وغالباً ما يكون امرأة وهي تمثّل البحر عندما رآه هرب (مز١١٤: ٣).

٤- **أخيراً على ضفّة النّهر نرى الملائكة**، تختلف أعدادهم حسب الأيقونة ولم يُذكروا في الإنجيل، لكن في الكتابات اللّيتورجيّة، وبلا شكّ دورهُم هو الصّلاة والتّسبيح والخدمة، ويحملون على أياديهم ألبسة أو منشفة لخدمة المسيح، ودائماً أياديهم مغمورة بثيابهم علامة الاحترام والسّجود والإكرام، وأيضاً لعدم لمس الثّياب المقدّسة بأيادٍ عارية.

وغالبيّة أيقونات العماد تصوّر الفأس على جذع شجرة على إحدى ضِفّتَي النّهر علامة لما جاء في إنجيل متّى: «ها هي ذي الفأس على أصول الشّجر، فكلُّ شجرةٍ لا تُثمرُ ثمراً طيّباً تُقطَع وتُلقى في النّار» (١٠: ٣).

هذا هو العيد وهذا هو اكتمال الكشف الإلهيّ، فبالميلاد حلّ الرّبّ فيما بيننا إلهاً متجسّداً وفادياً ومخلّصاً، وفي معموديّته ظهر معلناً الثّالوث، إلهٌ واحد في ثلاثة أقانيم، آبٌ وابنٌ وروحٌ قدسٌ. ليكنِ الميلادُ لنا تجديداً لحياتنا والظّهورُ الإلهيُّ تألّهاً بالنّعمة.

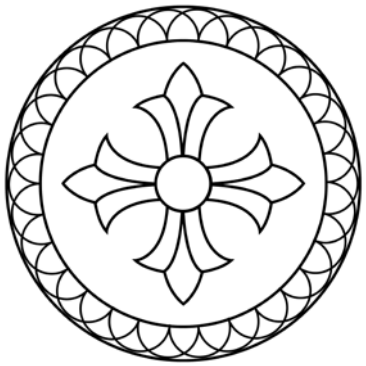

حاجتنا الخفيّة... التّوق إلى المحبّة

خريستو المرّ

كلّ منّا في حياته يمرّ بأفراح وأحزان، بنجاحات وفشل، بقمّة وبقعر، بتألّق وبخفوت. ومن الطّبيعيّ أنّنا عندما نمرّ بكلّ الخبرات المؤلمة فإنّنا نتوق في الآن عينِه إلى أن نصل إلى عيش الخبرات المُفرحة ولكن إن انتبهنا، فإنّنا نرى أنّه عندما نكون في وسط الخبرات المفرحة، فإنّ هذه لا تكتمل دون شركة مع غيرنا، فالمشاركة مع غيرنا هي تتويجٌ لكلّ أفراحنا المختلفة. فَفرحُ النّجاح في الدّراسة والعمل، وفرحُ إنجاز مشروع، وفرحُ تحقيق الطّاقات... لا تجد لها معنىً في قلوبنا ولا تكتمل بدون آخرين يشاركوننا فيها، ومن هنا المثل الشّعبيّ القائل «الجنّة بدون ناس لا تُداس».

لكن إن ننتبه أكثر، فإنّ مجرّد وجود آخرين معنا أو حولنا لا يعني أنّهم يشاركوننا خبراتنا، أو أنّنا نشاركهم خبراتهم؛ فقد يتواجد النّاس مع بعضهم بدون علاقة حقيقيّة، أو تكون علاقتهم علاقة سطحيّة، فلا يحدث لقاء شخصيّ بينهم. إنّ المشاركة مع الآخرين الّتي نودّها أن تتوّجَ أفراحَنا هي تلك الّتي نلتقي فيها معهم بالعمق، بحيث أنّنا نعيش معهم اللّقاء الأصيل، قدر إمكاناتهم وإمكاناتنا؛ هذا اللّقاء الّذي يحافظ فيه كلٌّ من الطّرفين على ذاته وشخصيّته، ولكنّه يتّحد بالطّرف الآخر في الوقت عينه. هذا هو الّذي يجعل علاقات الأخوّة العائليّة، والأبوّة، والأمومة، والبنوّة، والصّداقة، والحبّ، لها معنىً. فهذه العلاقات كلّها، تكون علاقات لقاءٍ حقيقيّ إن كانت تسمح لي بأن أكون نفسي الفريدة، وتسمح للآخر بأن يكون ذاتَه الفريدة، وتسمح في الآن عينِه أن نلتقي في العمق معاً، في مسعى وحدة في التّمايز. إن انتبهنا جيّداً، وتأمّلنا في عيشنا، لَفَهِمْنا بأنّ الفرحَ العميق الّذي نريده وراء كلّ رغبة في فرح، ووراء كلّ إنجاز وخبرة جميلة، هو فرحُ اللّقاء الحقيقيّ، أي الّذي يسمح لنا أن نتّحد بالآخرين مع المحافظة على فراداتنا. إن أردنا أن نعطي اسماً لهذا اللّقاء الحقيقيّ لسمّيناه: المحبّة. وبالفعل فالمحبّة تعريفها أنّها خبرة الاتّحاد في التّمايز. إنّ توق قلوبنا العميق هو توقٌ نحو الخروج من العزلة لعيش المشاركة، لعيش اللّقاء الأصيل بالآخرين، لعيش الوحدة في التّمايز، لعيش المحبّة.

هذه الخبرة معيوشة الّتي نراها ونعيشها إن سمحنا لأنفسنا بأن نتوقّف عن اللّهاث وراء حاجاتنا المختلفة لكي نتأمّل في حياتنا ومعناها، هي أيضاً لبّ حياتنا المسيحيّة. فنحن نؤمن بأنّ اللّه هو ثالوث، وهو محبّة؛ أي أنّ اللّه هو محبّة ثالوثيّة، يحمل في ذاته تمايز الأقانيم ووحدة الجوهر، «في حركة حبّ أبديّة» تجمع الأقانيم، كما قال الآباء. وهذا ما يفسّر سعينا الدّائم، وراء كلّ خبراتنا المُفرحة، إلى لقاء الآخرين في وحدة وتمايز، فنحن مخلوقون – كما نؤمن– على صورة اللّه ومثاله، وبالتّالي فنحن لا يمكننا أن نكون سوى على صورة الثّالوث، أي على صورة المحبّة، على صورة الوحدة في التّمايز، فإذا بنا يشدّنا توقٌ لا نهائيّ كي نحقّق الوحدة بالآخرين في التّمايز، كي نحقّق المحبّة. هذا لبّ إيماننا ولبّ خبرتنا الحياتيّة.

رغبة غير محدودة

إلاّ أنّ رغبتنا بتحقيق المحبّة، هي رغبة غير محدودة، فنحن حين نحبّ آخر أو آخرين، ونسعى للاتّحاد بهم مع المحافظة على تمايزنا عنهم، نريد أن يكون الاتّحاد غيرَ محدود، نريد أن يكون اللّقاء الأصيل غيرَ محدود، نريد أن يكون الفرح المعيوش غير محدود. إنّنا لا نقبل بالمحدود في المحبّة، فالمحدود لا يكفينا. هذا ما يستطيع كلّ منّا أن يشعره إن انتبه إلى ذاته.

حتّى في الأمور الّتي ليست عبارة عن علاقة مع آخر، نحن نريد اللاّمحدود، نريد معرفةً لا محدودة، نكتشف الكون ونريد أن نكتشف أكثر، نحقّق مشروعاً ثمّ ننتبه إلى عدم كماله فنحاول أن نجعله أكمل، نَهَبَ ذواتنا للآخرين ونكتشف أنّ الأنانيّة ما زالت تتحكّم فينا ولم نَهَبْ كلّ شيء بعد بشكل كامل. نحن كَبَشَرٍ، وحتّى في خبرات المحبّة الأكثر عمقاً، في الصّداقة، أو في الحبّ، نبقى متوتّرين بين الرّغبة بالاتّحاد والتّمايز، وبين الأنانيّة والانغلاق، بين اللّقاء ووهب الذّات للآخر وبين الرّغبة باستهلاك الآخر، بين الإصغاء لخلجات قلبه وبين الانطواء على حاجاتنا، بين القيام معه في اللّقاء وبين الموت في العزلة. إنّ قدراتِنا البشريّة المحدودة غيرُ قادرة على تحقيق توقنا إلى عيش اللاّمحدود، هذا التّوق الّذي لا يمكننا أن نفلت منه ويحزننا أحياناً.

تحقيق هذه الرّغبة

من هنا فإنّنا يمكننا أن ننتبه إلى أنّ كلّ هذا الكون المحدود لن يحقّق لنا أبداً، حتّى في قمّة اختبارنا وعيشنا للمحبّة والحبّ، توقَنا إلى اللاّمحدود، إلى المحبّة اللاّمحدودة والاتّحاد اللاّمحدود واللّقاء اللاّمحدود بالآخرين والفرح اللاّمحدود. إنّ الشخص الوحيد الّذي يمكنه أن يمدّنا بهذا التّحقيق يجب أن يكون من غير هذا العالم. إنّه الله، هو المحبّة اللاّمحدودة، الّذي خلقنا على صورته وجعلنا نتوق إلى تحقيق مثاله بتحقيق محبّة لامحدودة، وعيش فرح لا محدود. إنّ الله هو الشّخص الّذي يمكنه مدّنا بخبرة المُطلَق الّذي نتوق إليه من كلّ جوارحنا، وهو القادر أن يمدّ ضعفات صداقاتنا بقدرة على تجاوز تلك الضّعفات، ويمدّ تردّد محبّتنا وحبّنا بطاقة على تجاوز مستمرّ لهذا التّردّد، أي بتعبير لاهوتيّ: الله هو الّذي يمكن أن يمدّ وجودنا المخلوق، بطاقاته الإلهيّة (الّتي تحدّث بها القدّيس غريغوريوس بالاماس) كي نتألّه بالنّعمة، أي كي نكون بِقُدْرَتِه محمولون نحو اللاّمحدود، الغير الموجود إلاّ في محبّة الله، في الله-المحبّة- غير المحدود.

وكي يمدّنا الله بهذه القدرة، بحياته، تَجَسّدَ الكلمةُ، وصُلِبَ وقام، وأرسل روحَه القدس. فالرّوح القدس هو الّذي يمدّنا اليوم بطاقة المسيح القياميّة الّتي تقيمنا من كلّ موت وإخفاق ومحدوديّة نعيشها في هذا العالم. والكنيسة هي الّتي تنقل لنا إمكانيّة هذه «الحياة في المسيح»، تمدّنا بطاقات الله، كي نكون قائمين من الموت كلّ يوم، الآن وهنا على هذه الأرض. الكنيسة هدفها أن تُعينَنا أن نعيش المحبّة والحبّ، وبالتّالي هدفها أن تُعينَنا كي نعيش الفرحَ باللّقاء وبالجمال وبالفكر وبالحرّيّة في هذا العالم، بانتظار اكتمال هذه كلّها في اليوم الأخير. إنّ كون الله هو المحبّة يعني أنّنا نحن لا يمكننا أن نصير بشراً – نحن الّذين على صورته – إلاّ إذا أحببنا، ولهذا فالكنيسة تهدف إلى تنمية طاقات المحبّة فينا، طاقة الوحدة في التّمايز، ولهذا أيضاً تهدف إلى تنمية طاقات الحرّيّة فينا، إذ لا محبّة بدون حرّيّة، كما أنّ لا حرّيّة بدون محبّة (أي بدون وحدة في التّمايز). هذه هي مسيرة تحقيق مثال الله فينا.

هذا ما يمكننا أن ننتبه له إن توقّفنا عن اللّهاث وراء حاجاتنا المختلفة (وبعضها تصنّعه الدّعاية وليس بحاجة حقيقيّة) وانتبهنا إلى حاجتنا الأساس، حاجتنا إلى المحبّة واللّقاء والفرح والحرّيّة، أي حاجتنا أن نعيش في كنف الله الّذي لا يريد لنا أن نخرج من هذا العالم بل أن نحيا فيه معاً حياةً حقيقيّة مفرحة بشكل لا محدود؛ وهكذا يمكننا أن نفهم بشكل ملموس وحاليّ قول بولس الرّسول «تَنبّهْ أيُّها النّائِم وقُمْ مِن بَينِ الأمْوات يُضِئْ لَكَ المسيح» (أفسس ٥: ١٤). إن تنبّهنا إلى قلوبنا، ونفضْنا نومَنا ونسيانَنا لذواتِنا، نحبّ ونحيا ونفرحُ، وعندها يتمجّد الله هنا على هذه الأرض فَ«مجد الله هو حياة الإنسان» كما يعبّر القدّيس إيريناوس، ولهذا ولد المسيح الّذي قال عن ذاته «جئت لتكونَ لكم الحياة وتكون أوفر»(يوحنّا ١٠: ١٠).

القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفّم

من سنكسار الكنيسة

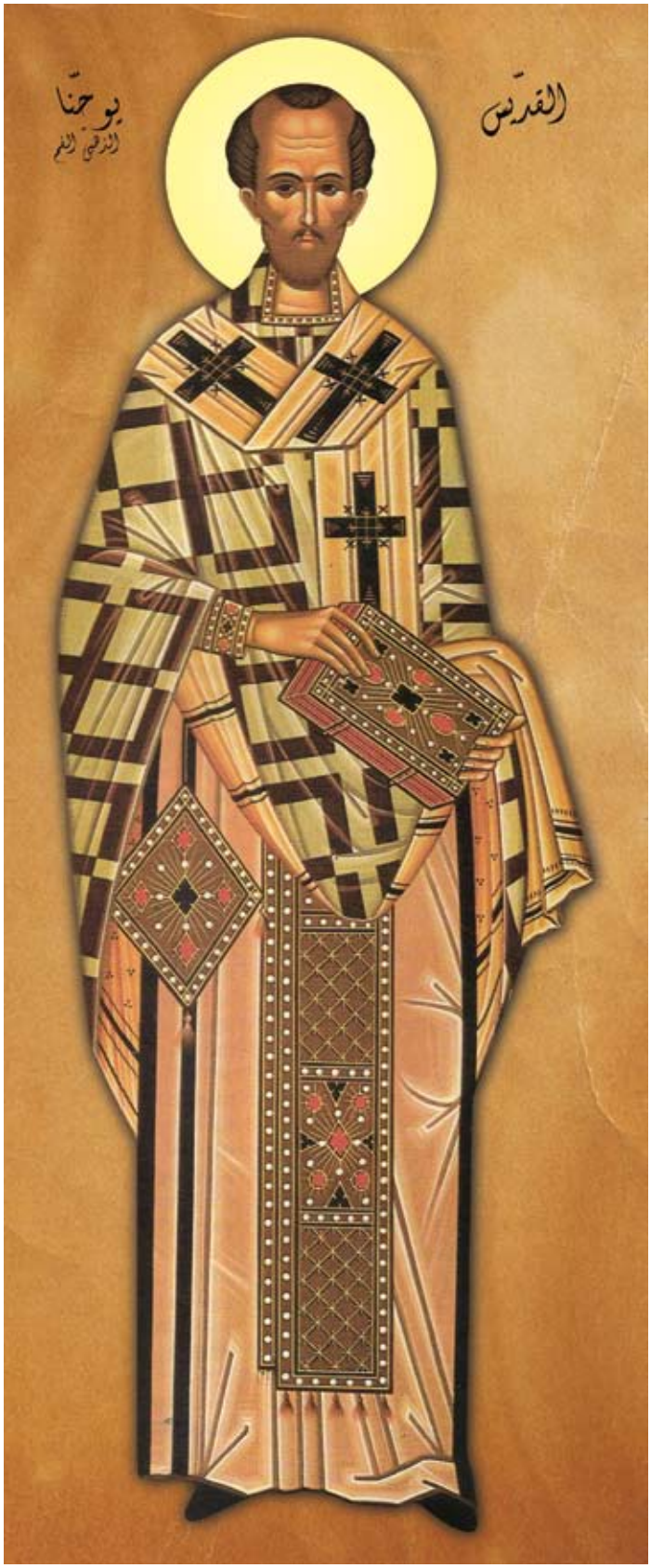

أبصر النّور في أنطاكية بين سنتي ٣٤٥ و٣٤٩ إلاّ أنّ الدّكتور أسد رستم يرجّح أنّه ولد في سنة ٣٤٥. كان والده سكوندوس قائد القوّات الرّومانيّة في سورية. ووالدته القدّيسة أنثوسة. تُوفّي والده في السّنة الرّابعة لزواجه وكان لديه ابنة وابن. فرفضت والدته أن تتزوّج بعد ترمّلها. وتفرّغت لتربية ولديها، تربية مسيحيّة خالصة. فكانت تربيتهم تنضح بعفة وطهارة وإخلاص القدّيسة أنثوسة. فقال بها الفيلسوف ليبانيوس الوثنيّ: «ما أعظم النّساء عند المسيحيّين».

درس يوحنّا اللّغة والبيان في مدرسة الفيلسوف ليبانيوس أشهر فلاسفة عصره ورئسي مدرسة أنطاكية. فأجاد القدّيس يوحنّا اليونانيّة الّتي ساعدته كثيراً في مواعظه وشروحاته. ولمس ليبانيوس مواهبه، فقال لتلاميذه مادحاً إيّاه: «لقد كان في ودّي أن أختار يوحنّا لإدارة مدرستي من بعدي ولكنّ المسيحيّين سلبوه منّا» إذ إنّ يوحنّا أصبح قارئاً في الكنيسة في سنة ٣٦٧. ودرس الفلسفة على يد أندورغاثيوس في أنطاكية أيضاً. وكان أكثر أصحابه المقرّبين باسيليوس الّذي أصبح أسقف (رافانه) بالقرب من أنطاكية.

زهده وورعه:

امتهن يوحنّا المحاماة وبهَرَ أقرانَه بفصاحته وبلاغته. ثمّ رغب فجأة بتركها.

وكان ملاتيوس الجليل أسقف أنطاكية يرقب تقدّمَ يوحنّا في العلم والفضيلة. فلمّا تيقّن من زهده أحلّه في دار الأسقفيّة ثلاث سنوات ثمّ منحه سرّ المعموديّة ورقّاه إلى درجة القارئ. وكان بعض المسيحيّين في ذلك الوقت يهابون سرّ المعموديّة خوفاً

من عواقب الوقوع في الخطيئة بعدها. فآثروا تأجيل ممارسة هذا السّرّ حتّى سنّ متأخّرة. أمّا سبب تأجيل معموديّة يوحنّا فهو أمر غير معلوم إذ لا يوجد في المراجع ما يقدّم لنا الجواب. وقد تكون أحداث أنطاكية هي الّتي تسبّبت في هذا التّأخر.

وأراد يوحنّا أن يخرج للصّحراء للتّعبّد والصّلاة والتّأمّل. إلاّ أنّ أمّه طلبت منه أن يؤجّل هذا حتّى ترقد بالرّبّ إذ لم يكن لها مُعيل غيره. فَرَضَخَ لطلبها، ويقول القدّيس في هذا الصّدد: «ما كدنا –هو وباسيليوس– نبدأ بتنفيذ ما رمّنا حتّى تدخّلت أمّي، المحبوبة جدّاً، ضدّ المشروع. لقد أمسكت بيدي وقادتني إلى غرفتها الخاصّة. وأجلستني، وجلست قربي، على الفراش ذاته حيث شاهدتُ النّور لأوّل مرّة. وهنا فاضت دموعها وكانت زفراتها تقطع نياط قلبي وعباراتها العذبة الحنونة تمعن في التّقطيع... وممّا قالته لي: انتظر فراقي لهذا العالم، ربّما يكون قريباً. لقد بلغت سنّاً لا يُنتظر معه إلاّ الموت. وعندما تعيدني إلى التّراب، وتجمعني إلى أبيك، اذهبْ حيث تشاء؛ سافرْ إلى البعيد البعيد، ارمِ بنفسك في لجّة اختيارك فعندئذ ليس من يمنعك. ولكن طالما أمّك تتنفّس وتتألّم لا تتركها ولا تغضب الرّبّ إلهك إذ تلقيني بلا مبرّر وبلا فائدة في لججٍ من الآلام أنا الّتي لم أصنع لك شرّاً. وتابعت: يا بني إذا استطعت أن تنسب لي أنّي أزيد همومك الحياتيّة فأنت حرّ من شرائع الطّبيعة. دُسها برجليك ولا تأخذ بعين الاعتبار شيئاً واهرب منّي كَعَدوّة تنصب لك الكمين... إذا كنتُ صنعتُ بك شرّاً!!». وكان هذا الحادث بمثابة نقطة الثّقل في حياته. من الأكيد الحصول على الطّهارة المسيحيّة يفرض الهرب من العالم. هذه النّجوة هي الطّريق الأقصر نحو القداسة. ولكنّه الّذي يدوس برجليه كائناً إنسانيّاً – إذ يهرب من العالم– فإنّه يسدّ على نفسه طريق القداسة إلى الأبد. ولكنّه جعل من غرفته في المنزل قلاّية. وعاش حياة الرّاهب والابن في الوقت نفسه. فتقشّف وكرّس وقته للصّلاة.

ثمّ أنشأ بالاشتراك مع باسيليوس صديقه أخويّةً نسكيّة ضمّت بعض رفاقهما في التّلمذة أمثال ثيودوروس أسقف موبسوسته فيما بعد ومكسيموس أسقف سلفكية أسورية. وخضعت فيما يظهر إلى ديودوروس و كرتيريوس الرّاهِبَيْن الرّئيسَيْن في أنطاكية آنئذ.

الرّاهب:

وفي سنة ٣٧٣ غضب «والنس جاش» على الأرثوذكسيّين فأكره النّسّاك على الخدمة العسكريّة والمدنيّة. واعتبر بعض المسيحيّين أنّ تقشّفات النّسّاك ضربٌ من الجنون. فضحك الوثنيّون على الطّرفين. فأخذت الكآبة في نفس يوحنّا كلّ مأخذ. فعلم أحد أصدقائه بهذا. فحضّ يوحنّا أن يقيم كلامه حصناً يدرأ نار الاضطهاد فتردّد يوحنّا ثمّ أنشأ ثلاثة كتب في إطراء السّيرة النّسكيّة. لا تزال من أفضل ما صُنّف في موضوعها.

ومن ثمّ ذهب إلى وادي العاصي وأوى إلى مغارة في الفترة ما بين (٣٧٤–٣٨١). وعاد إلى أنطاكية بعد ستّ سنوات مريضاً، فجسمه لم يقوَ على التّقشّف. ورجلاه أصبحتا ضعيفتين. يُخيّل للنّاظر إليه أنّ لا لحم له ولا دم يجري في عروقه. ولم يدرِ وقتها أنّ اللّه افتقده لما رأى ثمره نضج وقد حان الوقت ليرفع صوته ويسطع نوره في أفق الكنيسة.

الشّمّاس والكاهن والواعظ:

(٣٨١–٣٩٨) كان القدّيس ملاتيوس قد عاد إلى أنطاكية في صيف ٣٧٨. فلمّا أطلّ يوحنّا على دارس الأسقفيّة ابتهج الجليل في القدّيسين ملاتيوس وجاء به ورسمه شمّاساً رغم معارضته. فأوكلت إليه مهمّة مساعدة المحتاجين، فوزّع الصّدقات وزار المرضى والحزانى....

ودعي ملاتيوس لحضور المجمع المسكونيّ الثّاني في القسطنطينيّة وترأّس أعماله. واصطحب معه الكاهن فلابيانوس يمينه. ووكّل السّهر على شؤون الكنيسة إلى يوحنّا. ثمّ توفّي ملاتيوس أثناء انعقاد المجمع، فبكاه يوحنّا. ثمّ أجمع الآباء الأنطاكيّون على فلابيانوس خليفةً. فتوثّقت المحبّة بينه وبين يوحنّا. وشرع يفكّر في ترقية يوحنّا إلى الكهنوت. ثمّ وضع يده عليه في كنيسة القدّيس بولس سنة ٣٨٦. واحتشد يومها أهل أنطاكية مسيحيّين ووثنيّين. فمَلكَ يوحنّا قيادتها بقداسته وفصاحته. فسعى لإصلاح المجتمع. وحرّك الأغنياء أن يمدّوا يد المعونة للكنيسة والّتي بدورها راحت تبني المشافي والمآوي.

الذّهبي الفم وعيد الميلاد:

يؤرّخ لنا القدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم أنّ كنيستنا الأنطاكيّة بدأت بالاحتفال بعيد الميلاد في أيّامه. آخذة بذلك عن كنيسة رومة. فلمّا سيم قسّاً سنة ٣٨٦ رأى من واجبه إقناع المؤمنين بأهمّيّة هذا العيد المجيد. فوعظ في المؤمنين في العشرين من كانون الأول وتكلّم عن عظمة عيد الميلاد لعظمة سرّ التّجسّد وقال: «لو لم يتجسّدِ الرّبّ يسوع المسيح لما كان صُلِبَ ولا أرسل الرّوح القدس. وما كنّا نقيم عيد الغطاس ولا الفصح ولا العنصرة. فمن عيد الميلاد تولّدت جميع الأعياد السّيديّة وتدفّقت منه كما تتدفّق الأنهار من ينبوع واحد....». وعاد قدّيسنا إلى الوعظ في يوم عيد الميلاد فقال قولاً بليغاً وسجّل لنا الأخبار المفيدة لتاريخ هذا العيد. فأوضح أنّنا لم نبدأ الاحتفال به قبل سنة ٣٧٦ وأنّنا أخذناه من الغرب وقال: «ولئن كان ظهور هذا اليوم الشّريف ومعرفتنا إيّاه من مدّة لا تنيف على عشر سنوات... وقد كان معروفاً منذ البدء بين الشّعوب القاطنين في الغرب ودخل بيننا حديثاً...»

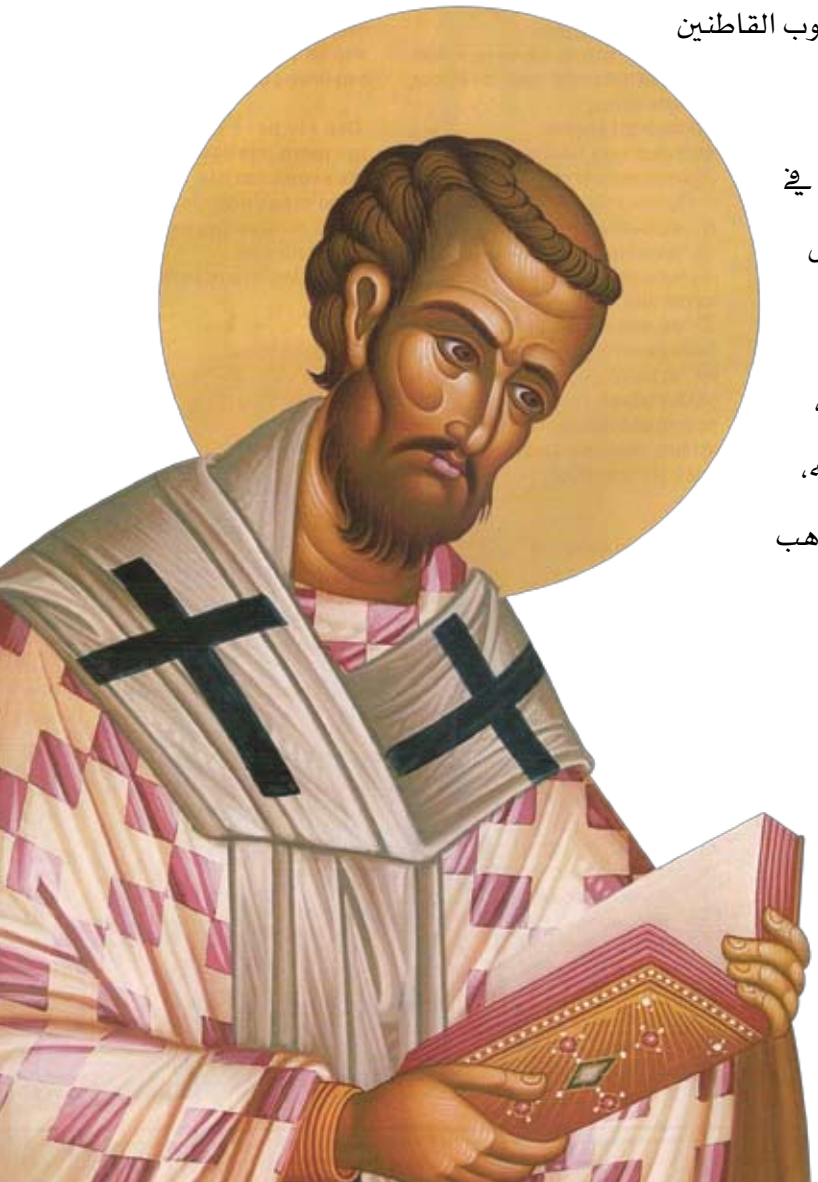

للقدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم مجموعة كبيرة من المؤلّفات تقع في تسعة عشر مجلّداً؛ كتابات ليتورجيّة – عظات في الكتاب المقدّس – عظات في العقيدة والحياة.

لُقّب القدّيس يوحنّا بيوحنّا الذّهبيّ الفم أو يوحنّا فم الذّهب، اعترافاً بفصاحته وبلاغته وجمال أسلوبه وعبارته، وقوّة كلماته، وتأثير عظاته معنىً ومبنىً. فَقيمةُ كلماته تماثل قيمة الذّهب المصفّى النّقيّ.

الطروباريّة

لقد أشرَقَتِ النعمةُ من فمِكَ مثلَ النّار. فأنَرتَ المسكونة. ووضعتَ للعالمِ كنوزَ عدم محبّة الفضّة. وأظهرتَ لنا سموّ الاتّضاع. فيا أيّها الأبُ المؤَدّبُ بأقوالِكَ يوحنّا الذّهبيُ الفم. تشفّع إلى المسيح الإله. أن يخلّصَ نفوسَنا.

ذكرى الميلاد... عِبر وعظات

فؤاد صليبا الصّائغ

في بيت لحمٍ قدْ تقدّسَ مِذودُ
إذْ كانَ عيسى فيهِ طفلاً يَرقدُ

فَتلألأَتْ وسطَ الْكواكبِ نجمةٌ
تَعني بِأَنَّ هناكَ ديناً يُولَدُ

دين التّسامحِ وَالْمحبّةُ تاجُهُ
جُلُّ الْفضائلِ في الْجوانحِ يوجدُ

حمَلَ الْمسيحُ مِنَ الإلهِ رسالةً
يُهدي بِها كلَّ الْخُطاةِ ويُرشِدُ

ذِكرى تَمرُّ على الْجميعِ بِفرحةٍ
في كلِّ عامٍ إنَّها تَتجسَّدُ

كلٌّ يُحاسِبُ قلبَهُ وَضميرَهُ
لِيَعيشَ في حُكمِ الْمسيحِ، وَيُنشدُ

الْعيدُ ليسَ تزيّناً وَمباهجاً
بلْ إنَّهُ درنَ الْخطايا يُبعدُ

أينَ التّسامحُ وَالْمحبّةُ في الْهدي
بئسَ امرئٍ يُؤذي أخاهُ وَيحسدُ

يُعطي لِقيصرَ وَالإلهَ مالَهُ
في مثلِ هذا الْقولِ مَنْ يَتعبّدُ

إنْ كنْتَ تَنوي لِلإلهِ عبادةً
فَالْمالُ ذاتُه ليسَ شيئاً يُعبَدُ

إنْ كانَ مالُكَ لِلْحياةِ وسيلةً
اجعلْه عبداً ثمَّ تَبقى سيِّدُ

اللّباس اللّيتورجيّ في الأسرار المقدّسة

فادي عدره

«أن تخلعوا من جهةِ التّصرفَ السّابق العتيق الفاسدَ بحسب شهوات الغرور، وتتجدّدوا بروح ذهنكم، وتَلْبسوا الإنسانَ الجديدَ المخلوق بحسب الله في البرّ وقداسة الحقّ»، هذا ما أوصانا به الرّسول بولس. وهذا ما ميّز كنيستَنا الأرثوذكسيّة، فهي لم تضعِ الملابسَ الكهنوتيّة اللّيتورجيّة فقط لجمال الشّكل، بل تعبيراً عن معانٍ لاهوتيّة عميقة، تميّز الكاهنَ عن الشّعب، لا بل تميّزه عن ذاتِه أيضاً. كما أنّ الكنيسةَ وضعت ترتيباً معيّناً لارتدائِها، حيث تختلف الألوان بحسب المناسبات، وغيرها من الأمور الّتي سنقدّمها في هذا الموضوع. كما سنتطرّق إلى تاريخ هذا الثّوب في كِلا العهدين وأقسامه.

تاريخ لباس الكهنة:

١- في العهد القديم:

كانت الملابس الكهنوتيّة في تلك الحقبة في غاية الجمال والجلال، كما أعلنها الله لموسى حينما طلب منه أن يصنع ملابس مقدّسة لهارون. وكان فقط رؤساء الكهنة والكهنةُ يرتدون تلك الملابس اللّيتورجيّة الخاصّة في الخدم اللّيتورجيّة، أمّا خارجها، فكانوا يرتدون ملابس عامّة الشّعب، وذلك تعبيراً عن احترامهم لرتبة الكهنوت، وإظهار سلطان الكاهن في خلع الإنسان العتيق في أعماله وخطاياه. وتكون هذه الملابس مصنوعة من الحرير أو الكتّان ولا يدخلها الصّوف. ونجد في سفر الخروج أن الله هو نفسه الّذي اختار هذه الملابس.

٢- في العهد الجديد:

في حادثتي التّجلّي، حيث تغيّرت ملابس الرّبّ إلى حلّة بيضاء، والنّازفة الدّم الّتي آمنت فَشُفِيَت مجرّد لمسها هدب ثوب الرّبّ، أغنتِ الكنيسةُ فحوىً جديداً للّباس وأعطتْه معنىً جديداً، روحيّاً معبّرة عن حقيقة إيمانها الأرثوذكسيّ المسيحيّ، وأعطته أهمّيّة خاصّة تتناسب مع مكانته، لأنّها اعتبرته من الأدوات الكنسيّة المقدّسة. ومن حادثة النّازفة الدّم أيضاً، تجد الكنيسة أنّ هذا الثّوب المقدّس يشكّل الواسطة السّرّيّة لانتقال قوّة الرّبّ الشّافية.

مراحل تطوّر اللّباس:

يعود بدء استخدام اللّباس الكهنوتيّ اللّيتورجيّ في كنيستنا الشّرقيّة خلال القدّاس الإلهيّ إلى القرن الرّابع الميلاديّ، إلاّ أن بعض كتابات القرن الرّابع تنسبها إلى القرن الثّالث. التّقليد القديم يوصل لنا أنّ استخدام اللّباس الكهنوتيّ اللّيتورجيّ يعود إلى عصر الرّسل، وأوّل من قدّم هذه المعلومات هو أفسافيوس (٢٦٥-٣٠٤)م. ويقول ثيوفانوس سالمينوس أنّ المعلومات عن استخدام الرّسل للّباس الكهنوتيّ هي فقيرة وعلى الأغلب رمزيّة.

أمّا التّأثير اليهوديّ على بعض العناصر الطّقوسيّة في العبادة المسيحيّة، فهو غير قابل للجدل، ومن الصّعب رفض هذا التّأثير الواضح على اللّباس الكهنوتيّ.

أمّا مصادر شهادات الآباء عن استخدام اللّباس الكهنوتيّ اللّيتورجيّ هي:

- الكتاب الثّامن للأوامر الرّسوليّة
- كتاب إيرونيموس (٣٤٥-٤٢١) م
- كتابات ثيوذوريتوس (٣٩٥-٤٦٠) م
- كتابات اسيذوروس بلوسيوتبس (٣٦٠-٤٤٠) م

• الشّهادات الباقية للكتّاب الكنسيّين حتّى القرن الخامس

لباس الكاهن في الأسرار المقدّسة:

تقسّم الأسرار إلى ثلاث مجموعات بحسب لباس الكاهن، وهي كالتّالي:

	السّرّ المقدّس	اللّباس اللّيتورجيّ
الأولى	الإفخارستيّا	ملابس كاملة
	الزّواج	ملابس كاملة
	الكهنوت	ملابس كاملة
الثّانية	الإعتراف	البطرشيل
الثّالثة	المعموديّة	البطرشيل + الأفلونيّة
	الميرون المقدّس	البطرشيل + الأفلونيّة
	مسحة المرضى	البطرشيل + الأفلونيّة

أمّا في خدم الدّور اليوميّ، يقوم الكاهن بالخدم وهو مرتدياً البطرشيل. ولا يستطيع الكاهن بالقيام بأيّة خدمة مهما كانت بدون ارتداء البطرشيل.

أقسام اللّباس الكهنوتي اللّيتورجيّ:

أوّلاً: الشّمّاس:

ثياب الشّمّاس في كنيستنا الأرثوذكسيّة هي ثلاث قطع:

١- الإستيخارة

٢- الزّنّار

٣- الأكمام

ثانياً: الكاهن:

يتألّف لباس الكاهن الأرثوذكسيّ من سبع قطع، وهي كالتّالي:

١- الإستيخارة

٢- الأكمام

٣- البطرشيل

٤- الزّنّار

٥- الأفلونيّة

٦- الحِجر

٧- الصّليب

ثالثاً: الأسقف:

يرتدي الأسقف القطع نفسَها الّتي يرتديها الكاهن ما عدا الأفلونيّة والّتي استُبدلت في القرن الثّاني عشر بالسّاكوس. ويلبس الأموفوريون الّذي يميّز لباس رئيس الكهنة، كما أنّه يُعطى الصّليب والأمكولبيون والعصا والتّاج والمنتيّة.

الخاتمة:

كثيرة هي الملابس اللّيتورجيّة، الّتي نقدّسها بمجرّد أنّ الّذي يرتديها يدعى كاهناً أو أسقفاً، لكنّنا لا نعي حقيقة الأمر، إنّ الملابس لا يقدّسها جسد الإنسان، بل نفسه الّتي تعيش حياةً روحيّة هي الّتي تقدّسها، فما فائدة الثّوب إذا كان الّذي يرتديه مهملاً حياتَه الرّوحيّة. فَقبْلَ ارتداءِ الثّوب يجب علينا إلباس نفوسنا ثوب التّوبة والحياة الرّوحيّة المسيحيّة المطلوبة منّا؛ الصّوم، الصّلاة، والمحبّة. فالمسيح لَما كان ثوبُه مقدّساً عند شفاء النّازفة الدّم، لو لم تكن نفسُ الجسد الّذي يرتديه طاهرةً ومقدّسةً.

الصّلاة في مزامير داود

كما شرحها القدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم

من موقع أرثوذكس أونلاين orthodoxonline.org

حينما خاطب القدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم شعبَه سواء مباشرة من على المنبر، أو بالمقالات المكتوبة، كان يستعرض فَهمَه للطّبيعة البشريّة ولتقلّبات الحياة اليوميّة. وقد كان اهتمامُه الأوّل أن يسموَ بِشعبِه ويجذبَهم ليقتربوا أكثر فأكثر من شخص الرّبّ يسوع المسيح. كان يحاول باستمرار، ليس فقط أن يُعلِّمهم كيف يَحيون حياتَهم متشبّهينَ بالمسيح، بل وأيضاً كيف يُنمّونَ حياتَهم الرّوحيّة. وكانت الصّلاة من بين الموضوعات الّتي كان يُكثر الحديثَ عنها. وفي شروحاته على المزامير يتناول هذا الجانب الهامّ: «الصّلاة» بتوسُّعٍ، وإن كان ليس على سبيل الحصر.

ولا يتحدّث القدّيس الذّهبيّ الفم عن الصّلاة من جهة أنواعها المتعدّدة (صلاة التّمجيد، صلاة التّوسُّل... إلخ)، بِقدَر ما يتكلّم عن هدف أن يستجيبَ اللّه صلاتَك بأيّ نوعٍ كانت. ويدور تناولُه لهذا الجانب من الصّلاة حول داود النّبيّ والمرنِّم، وكيف كان يسعى لإرضاء اللّه حتّى يستجيبَ له.

وفي شرحه للمزمور السّابع الّذي يصفه بأنّه ترنيمة شكر للّه بعد انتصار داود على ابنه أبشالوم، يُعدِّد القدّيس الذّهبيّ الفم ستّةَ شروط لاستجابة اللّه لصلواتنا؛ شروط استجابة الصّلاة:

أوّلاً: أن تكون جديرةً بالقبول من اللّه،

ثانياً: أن يُصلّي الإنسان بما يتوافق مع شرائع اللّه،

ثالثاً: أن يُصلّي الإنسان على الدّوام وباستمرار،

رابعاً: أن لا نطلب مِتاع الأرض في صلواتنا،

خامساً: أن نطلب ما هو نافع حقّاً لنا،

سادساً: أن نفعل كلّ ما في مقدورنا فعله من صلاح.

عظات القدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم:

إنّ العلاقة بين الصّلاة والحياة عموماً هي موضوع رئيسٌ في شروحات المزامير للقدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم، ولا يعسر علينا العثور عليها كثيراً في سائر عظاته الأخرى. فالحياة الّتي يعيشها الإنسان، والطّريقة الّتي يُعامِل بها رفقاءَه من بني البشر، وما يكمن داخل أعماق نفسِه، كلّ هذه أمورٌ ضروريّة للصّلاة النّاجحة، تماماً مثل أهمّيّة كلمات الصّلاة نفسِها. كما أنّه ليس هناك أسلوب محدّد للكلمات الّتي نُرضي بها اللّه، فمعاني الكلمات والإحساسات الّتي تقف وراءها هي الّتي تهمّ.

وهنا يتّضح تأثير رسائل القدّيس بولس الرّسول. فالقدّيس بولس كثيراً ما تكلّم عن سلوك الحياة كما يحقّ للرّبّ، وفي كولوسي ١:١٠ يصف مثل هذه الحياة بأنّها الإثمار في كلّ عمل صالح. وفي تسالونيكي الأولى ٥:١٧ يحثّ المسيحيّين على الصّلاة الدّائمة. وهو في هذا يكرّر الوصيّة في رومية ١٢:١٢: «مواظبين على الصّلاة»، وتصريحه في أفسس ٦:١٨: «مُصلّين بكلّ صلاة وطلبة كلّ وقت في الرّوح». أمّا عن الحياة بحسب مشيئة اللّه فيوصي الرّسول المسيحيّين في رومية ١٢:٢: «ولا تشاكلوا هذا الدّهر» (أي لا تعيشوا بحسب هذا العالم)، ويوبّخ بولس الرّسول مسيحيّي فيلبّي الّذين «يفتكرون في الأرضيّات» (في ٣:١٩). ويربط القدّيس الذّهبيّ الفم بين الشّرط الخامس لاستجابة الصّلاة وبين القدّيس بولس حينما صلّى إلى اللّه أن يرفع عنه الشّوكة الّتي في جسده فلم يستجبْ، بأنّها مَثَلٌ للصّلاة من أجل ما ليس نافعاً للإنسان.

ومما لا شكّ فيه أنّه كان للقدّيس بولس تأثير عميق في تعاليم القدّيس الذّهبيّ الفم. وكثيرة جداً هي إشارات القدّيس الذّهبيّ الفم في كلّ كتاباته وفي بعض من باقي أعماله (وإن لم يكن في شروحاته على المزامير) حيث يُسجِّل إعجابه بلا حدود بالقدّيس بولس. ويرجع الذّهبيّ الفم إلى القدّيس بولس ليس بمجرد ترديد نصوص من رسائله؛ بل هو يستغرق في كتاباته فيرجع إلى مضمون مفاهيمه اللاّهوتيّة حينما يتناول موضوعاً ما. وكمثال لهذا، ما نراه في الشّروط السّتّة لاستجابة الصّلاة. فباستثناء "الصّلاة بلا انقطاع" (١تس ٥: ١٢)، فإنّ باقي الأمثلة المستقاة من رسائل بولس الرّسول لا تختصّ بالصّلاة بالذّات، بل بوصايا بولس الرّسول للسّلوك في الحياة المتمثّلة بالمسيح. ممّا يلفت نظرنا إلى أنّ الصّلة بين الحياة المتمثّلة بالمسيح وبين الصّلاة النّاجحة هي لفتة يتميّز بها القدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم.

وهذه الدّراسة قائمة على شروط الذّهبيّ الفم السّتّة كما يشرحها ليس فقط في تفسيره للمزمور السّابع، بل وفي كلّ شروحاته على المزامير. وفي هذه الدّراسة قسّمتُ هذه الشّروط إلى قسمين اثنين: الشّرطان الأوّل والسّادس مختصّان بالحياة والصّلاة كشرطين لاستجابة الصّلاة، والشّروط من الثّاني إلى الخامس مختصّة بمضمون الصّلاة.

والقدّيس الذّهبيّ الفم يتكلّم عن كاتب المزامير باعتباره «النّبيّ»، وهو ليس إنساناً آخر سوى داود. وتشمل الشّروطُ السّتّة الحياةَ بأكملها، وبكلمات القدّيس يوحنّا فإنّه لكي تتحقّق هذه الحياة، فإنّه لابدّ من أن يصحب المزمور القارئَ في كلّ مستوى من مستويات حياته الشّخصيّة. وحينما يُقدِّم داود باعتباره مؤلِّف المزامير ويرجع إلى الأحداث الّتي تمّت في سيرته ليشرح هذه المزامير، فإنّ الذّهبيّ الفم يُقدِّم داودَ للقارئ باعتباره شخصاً حقيقيّاً يتحدّث عنه. وهو بهذا يوفِّر لنا تعمُّقاً في نصوص المزامير أكثر ممّا تعوّدنا عليه من تفاسير المزامير.

الحياة والصّلاة معاً لضمان استجابة الصّلاة لكي نستحقّ أن ننال استجابةً لصلواتنا، فهذا يتطلّب بالضّرورة أن نعمل كلّ ما في وسعنا. وهذا يعني: طريقة الحياة، ووضع الصّلاة، ما يجعل اللّه منصتاً لصلواتنا. ويعتبر القدّيس الذّهبيّ الفم داودَ أنّه بالدّرجة الأولى المعلِّم لهذه الأمور. فهو ليس فقط مستحقّاً لاستماع اللّه له، بل هو أيضاً جديرٌ بأن يكون قدوة للآخرين.

الاستحقاق في الصّلاة: حينما يتحدّث الذّهبيّ الفم في «شرحه لمزمور ٧»، عن تعقُّب أبشالوم لداود، يضع تأكيداً على ردّ فعل داود لهذه الضّيقة، حيث تظهر شخصيّة الرّجل بوضوح. وحتّى بعد أن قتل أبشالوم أخاه، يقول الذّهبيّ الفم إنّ داود عامَل ابنَه برفق، ثمّ بالرّغم من أنّ أبشالوم انقلب حينئذ على أبيه واضطرّه إلى الهرب خوفاً على حياته، فإنّ داود يظلّ يقول لجنوده: «ترفّقوا لي بالفتى أبشالوم» (٢صم ١٨: ٥). وحينما بلغ داود خبر مقتل أبشالوم صرخ باكياً منزعجاً: «يا ابني يا ابني أبشالوم، يا ليتني مُتُّ عِوَضاً عنك...» (٢صم ١٨: ٣٣). لقد عانى داود عداءً شديداً على يديّ ابنه، ويُعلِّق القدّيس الذّهبيّ الفم بأنّ داود تألّق كالذّهب في بوتقة الانصهار، إذ صار أكثر نقاءً بسبب هذه المحنة القاسية) ويرى القدّيس الذّهبيّ الفم في عزلة داود وضعفه الواضح نموذجاً لانتصار الفضيلة على الرّذيلة، لأنّ الفضيلة ـ كما يقول الذّهبيّ الفم ـ يقف اللّه لها حامياً ومعضداً .. ويحثُّنا أن نقتدي بهذا المثال الّذي يُقدِّمه داود بكلماته في المزمور: «يا ربّ إلهي، فيك وثقتُ، فخلِّصني...» (مز ٧: ١ ـ

بحسب النّصّ في شروحات الذّهبيّ الفم). وهذه النّصيحة الّتي يُسديها لنا الذّهبيّ الفم تربط بين الحياة والصّلاة.

وتتضّح فضيلة حياة داود العالية من بدايات مُلْك داود. ففي ٢صم ٧:١٤-١٦ يُعلن الرّبّ أنّه سيُثبِّت مملكة داود إلى الأبد، وسوف يؤدِّبه إن أخطأ، ولكنّه لن ينزع رحمته منه كما نزعها من شاول الملك. ولكن إن كان الذّهبيّ الفم قد أوضح أنّ حياة الفضيلة العالية ضروريّة لحياة الصّلاة النّاجحة، فماذا يا تُرى قال عن خطيّة داود العظيمة مع بثشبع؟ لا شكّ أنّ كلامه ذو أهمّيّة وحاسم لنفهم تعليمه عن علاقة الخاطئ باللّه وفرصته في الصّلاة النّاجحة. وفي الشّروحات كما هي متاحة لنا اليوم، يرجع القدّيس الذّهبيّ الفم إلى مرجعين في هذا الموضوع. ففي شرحه على مزمور ٦ يقول إنّ داود ارتكب خطيّة القتل، إلاّ أنه اختبر «محبّة اللّه للبشر» Philanthropia. وفي شرحه على مزمور ٤ يتكلّم عن المعاناة القاسية الّتي أصابت داود بسبب شهوته الآثمة.

ويُقدِّم القدّيس الذّهبيّ الفم تعليقاً مطوّلاً على هذه المسألة في «عظاته على إنجيل متّى ـ العظة ٣٦»، حيث يصف ارتكاب داود للزّنى والقتل بأنّه «مرض»، تفاقم سُوءُه بسبب حقيقة أنّه لم يكن فقط رجلاً فاضلاً؛ بل أيضاً نبيّاً. لكنّ الذّهبيّ الفم يعود فيؤكّد على «سرعة تماثل داود للشّفاء» من مرضه، لأنّه لم يستغرق في اليأس بل تاب، وعاد طاهراً مرة أخرى في موضع آخر يصف طريقة داود في التّوبة بأنّها: بالاتّضاع، وندم القلب، وبتأنيب الضّمير، وبعدم الرّجوع لهذا السّقوط مرّة أخرى بتذكُّرها دائماً، وباحتمال كلّ ما يأتي عليه بالشّكر، وبالرّفق بمن يحزنونه، وبالامتناع عن الحُكْم على الّذين يتآمرون ضدّه، إلى حدِّ مَنْعه الّذين كانوا يريدون أن يفعلوا هذا.

ونجد في المزامير الّتي شرحها القدّيس الذّهبيّ الفم برهاناً على كلّ ذلك. فكما رأينا، فإنّ سلوك داود تجاه أبشالوم برهان على الامتناع عن مجازاة خصومه. أمّا عن احتماله بشكر ما يأتي عليه، فإنّنا نجد ذلك في مزمور ٧ حينما يقول: «سأشكر الرّبّ حسب برّه، وسأُرنّم لاسم الرّبّ العليّ» (مز ٧:١٧). ويقول الذّهبيّ الفم إنّ داود باستخدامه هنا صيغة المستقبل («سأشكر»، «سأُرنّم») يشير إلى أنّه لم ينسَ أعمال اللّه الصّالحة الّتي نالها ولا هو صار كسولاً؛ بل كان صاحي العقل يقظاً لإحسانات اللّه معه.

الصّلاة الدّائمة: يحثّنا القدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم على الصّلاة الدّائمة، لأنّه ما من شيء يؤدّي إلى الفضيلة مثل أن نتكلّم دائماً مع اللّه، وأن نقدِّم له الشّكر دوماً ونسبِّح اللّه، وكان الذّهبيّ الفم على مدى حياته كلّها يشير إلى أنّ داود النّبيّ مجّد اللّه بكلماته كما بأعماله. وينصح القدّيس الذّهبيّ الفم قرّاءه، أنّه في أوقات التّجارب والمحن والاضطهادات فَلْنفعلْ كما فعل داود ونُقدِّم المجدَ للّه ولا نكفّ عن أن نباركه. وسواء كُنّا شيوخاً أو شباباً، فيجب أن نُقدِّم الشّكر للّه. وكما يقول الذّهبيّ الفم، فإنّ هذا هو غرض المزمور ١٤٨ أنّه يُبيّن لنا أنّه لابدّ أن نُسبِّح الرّبّ على كلّ شيء، بصرف النّظر عمّن نكون نحن. كما يجب أيضاً أن نثابر في صلواتنا وتوسُّلاتنا ولا نيأس إذا لم تُستَجَبْ في الحال.

وفي شروحات الذّهبيّ الفم على المزامير الّتي هي حقًّا صلاة داود، فإنّ هذه الشّروحات تُقدِّم ليس فقط حثًّا وإرشاداً على الصّلاة، بل هي أيضاً عمل جوهريّ على ربط الصّلاة بشخص النّبيّ داود وبتعاليم القدّيس بولس الرّسول. إنّ هذه الدّراسة بما فيها من معلومات ليتها تكون نافعة لطالبي الصّلاة والحياة الرّوحيّة، وكذلك لطالبي دراسة التّعليم الآبائيّ الكنسيّ، وعلم التّفسير.

وكما تلمس المزامير نفسُها قلبَ الإنسان، هكذا أيضاً فعلت شروحات الذّهبيّ الفم على المزامير.

من رسالة القدّيسة أنثوسا إلى ابنها القدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم

«الصّديق الأمين دواء الحياة» (إبن سيراخ ٦:١٦). «الصّديق الأمين ملجأ حصين» (إبن سيراخ ٦:١٤).

ما هو الأمر الّذي لا يفعله الصّديق الأصيل؟ أيّة سعادة لا يخلقها لنا؟ أيّة منفعة وأي أمان؟ قد تسمّي ألف كنز ولكن أيّاً منها لا يُقارَن بصديق حقيقيّ.

لنذكر أولاً كم من السّعادة تجلب الصّداقة. الصّديق وضّاء بالفرح، وهو يفيض عندما يرى صديقه. لأنّه متّحد به بوحدة هي للنّفس سعادةٌ لا تُوصَف. إنّ مجرّد تفكيره به يجعله مرتفعاً ومحمولاً بفكره. أتحدّث عن الأصدقاء الأصيلين المتّفقين. الّذين قد يختارون الموت من أجل أصدقائهم، من أجل الّذين يحبّونهم بحرارة. لا تتخيّل أنّك قادر على ردّ ما أقول عن طريق وصف أولئك الّذين يحبّون بخفّة ويجالسونك المائدة)إبن سيراخ ٦:١٠(وليس لك بهم إلاّ معرفة ضئيلة. مَن عنده صديق كالّذي أصف يفهم كلامي. إنّه يصلّي لصديقه كما لنفسه. أعرف رجلاً، إذا طلب الصّلاة من أشخاص قدّيسين، يطلبها لصديقه أوّلاً ثمّ لنفسه.

إنّ الصّديق الحقيقيّ هو ذلك الّذي تصبح الأوقات والأماكن محبوبةً بسببه. إذ، كما أنّ الأشياء المشعّة ترمي بلمعانها على الأماكن المجاورة، كذلك الأصدقاء يُضفون نعمتهم على الأماكن الّتي يكونون فيها. ونحن في أكثر الأوقات، عندما نقف في هذه الأماكن بدون أصدقائنا، ننوح ونتنهّد لتذكّرنا الأيّامَ الّتي كنّا فيها معاً.

ليس ممكناً التّعبير من خلال الكلمات عن السّعادة الّتي يسبّبها وجود الأصدقاء، إنّما الّذين اختبروها يعرفونها. يستطيع المرء

أن يطلب خدمة من صديق، ويحصل عليها بدون أيّ ريبة. عندما يطلب الأصدقاء منّا أيّ شيء نكون ممتنّين لهم ونحزن عندما يبطئون بالطّلب. نحن لا نملك شيئاً ليس لهم. وغالباً، مع أنّنا نمقت كلّ الأشياء الأرضيّة، إلاّ أنّنا بسببهم لا نرغب بالرّحيل عن هذه الحياة، وهم مرغوبون عندنا أكثر من النّور. نعم، بالواقع، الصّديق مرغوب أكثر من الضّوء نفسه. أتحدّث عن الصّديق الأصيل. لا تعترض، قد نفضّل أن تُطفأ الشّمس من أن نُحرَم الأصدقاء. قد نفضّل أن نعيش في الظّلام من أن نعيش بدون أصدقاء. وكيف أقول هذا؟ لأنّ كثيرين من الّذين يرون الشّمس هم في الظّلام. أمّا الأغنياء بالأصدقاء فلا يكونون في محنة أبداً. أتحدّث عن الأصدقاء الرّوحيّين الّذين لا

يضعون شيئاً فوق الصّداقة. هكذا كان بولس، الّذي أراد طوعيّاً أن يضحّي بنفسه، من دون أن يسأل، وأراد طوعيّاً أن يسقط في الجحيم من أجل إخوته (روما ٣:٩). بهذه العاطفة تتأجّج المحبّة. خذْ هذا مثلاً عن الصّداقة. الأصدقاء يتخطّون الآباء والبنين، أي الأصدقاء بحسب المسيح.

الصّداقة هي أمر عظيم وعظمتها لا نتعلّمها بالدّرس أو بكلمات الشّرح، إنّما فقط بالخبرة نفسها. ذاك لأنّ غياب المحبّة جلب الهرطقات وجعل الأمم عبّادَ وثنٍ. إنّ الّذي يحبّ لا يتمنّى أن يحكم أو أن يتسلّط، بل بالأحرى يكون أكثر امتناناً إذا تلقّى طلبات. إنّه يفضّل أن يقدّم الخدمات بدل أخذها لأنّه يحبّ، والأخذُ لا يشبع شهوته. إنّه لا يبتهج في اختبار اللّطف كما في أن يكون لطيفاً لأنّه يفضّل أن يحفظ صديقه على ارتباط معه بدل أن يكون مديوناً له، أو بالأحرى إنّه يتمنّى أن يكون مديوناً لصديقه وأن يكون صديقه الدّائن. إنّه يتمنّى أن يمنح الخدمات لا كَمَن يقدّم خدمات بل كَمَن يفي ديناً.

عندما تُفقَد الصّداقة، نحن نُربِك بِخِدْماتِنا الّذين نخدمهم ونضخّم الأمور الصّغيرة. إنّما عندما توجد الصّداقة فنحن نكتم الخدمات ونتمنّى أن نُظهِر الأمور الكبيرة كصغيرة، حتّى لا نظهر صديقَنا كمديون لنا بل على العكس كدائنٍ ونحن كمديونين. أنا أعرف أنّ كثيرين لا يفهمون ذلك، إنّما السّبب هو أنّني أتحدّث عن أمر سماويّ. إنّه كما لو أنّي أتحدّث عن بعض النّباتات الّتي تنمو في الهند والّتي لم يختبرها أحد. لا تستطيع اللّغة أن تظهر هذه النّبتة حتّى ولو استعملنا عشرات الآلاف من الكلمات. حتّى الآن، كلّ ما أقوله يبقى بلا جدوى لأنّ أحداً لا يقدر أن يصفها. هذه النّبتة قد غُرسَت في الملكوت، وأغصانها محمّلة لا بالجواهر بل بالحياة الّتي لا تنتهي، الحياة الأكثر متعة من الجواهر.

ولكن عن أيّ نوع من المتعة أنت ترغب بالكلام؟ أهي المتعة الشّائنة أم المتعة الفاضلة؟ إنّ حلاوة الصّداقة تتخطّى كلّ المتع الأخرى. أنت قد تذكر حلاوة العسل، غير أنّ العسل قد يؤدّي إلى التّخمة، بينما الصّديق لا يتخم طالما هو صديق. تزداد الشّهوة عند إرضائها، بينما هذه المتعة لا يمكن لها أن تتركنا مشبَعين. إنّ الصّديق أكثر حلاوة من الحياة الحاضرة. لهذا، يتمنّى كثيرون الموت بعد رحيل أصدقائهم. مع الصّديق، يصبح النّفي محمولاً بينما من دونه لا يختار أحد العيش حتّى في موطنه. حتّى الفقر محمول مع الصّديق والغنى والصّحة لا يطاقان من دونه.

أن يكون عندك صديق هو أن يكون عندك نفس أخرى. إنّه الانسجام والتّناغم اللّذان لا يساويهما شيء. في هذا يساوي الواحد كثرة. إذ لو اتّحد الاثنان أو عشرة، فإنّ كلاً منهم لا يعود واحداً بل يصبح لكلّ منهم قدرة العشرة وقيمتهم. وسوف تجد الواحد في العشرة والعشرة في الواحد. إذا كان لهم عدو، فهو لا يهاجم الواحد بل العشرة، وبالتّالي لا يُهزَم ولا يتراجع من الواحد بل من العشرة. إذا وقع واحد منهم في عوز، فهو ليس مهجوراً لأنّه يزدهر بجزئه الأكبر، أي بالتّسعة، ويكون جزؤه الأضعف في أمان أي أن الجزء الأصغر يزهو. لكلّ منهم عشرون يد وعشرون عين والعدد نفسه من الأرجل، لأنّه لا ينظر بعينيه الشّخصيّتين فقط بل بأعين الكلّ. إنّه لا يسير برجليه الشّخصيّتين فقط بل بأرجل الكلّ، ولا يعمل بيديه فقط بل بأيدي الكلّ. إنّ له عشرة أنفس، لأنّه لا يهتمّ لنفسه بل التّسعة الآخرون يهتمّون له. ولو كانوا مئة فالأمر نفسه سوف يحدث والقدرة سوف تزداد.

انظر إلى فضيلة المحبّة الّتي من الله! كيف أنّها تجعل شخصاً واحداً غير مقهور ومساوياً لكثيرين. كيف يمكن للشّخص الواحد أن يكون في أماكن مختلفة. أن يكون الشّخص في روما

وفي بلاد فارس في آن واحد، ما تعجز الطّبيعة عن عمله تعمله المحبّة. إذ أنّ جزءاً من المرء سوف يكون هناك وجزءاً آخر هنا. بل بالأحرى سوف يكون كلّه هناك وكلّه هنا. وإذا كان له ألف صديق، وألفان، تصوّر إلى أيّ ذروة ترتفع قوّته. أترى كم أنّ المحبّة هي أمر نافع؟ إنّه لأمرٌ رائع: أن تجعل المرء ألف ضعف. إذاً السّؤال هو: لمَ لا نحوز هذه القوّة ونضع أنفسنا في أمان؟ إنّها أفضل من كلّ قوّة ومن كلّ فضيلة. إنّها أكثر من الصّحّة وأفضل من ضوء النّهار نفسه. إنّها الفرح. إلى متى نحتجز محبّتنا في شخص أو اثنين؟

تعلّم من اعتبار العكس. لنفرض أنّ شخصاً ما لا أصدقاء له، هذا غاية الجهل «يقول الأحمق لا صديق لي» (إبن سيراخ ١٦:٢٠). ما هو نوع الحياة الّتي يحياها هذا الشّخص؟ حتّى ولو كان عنده غنى مضاعفاً ألف مرّة، ولو كان يعيش في الوفرة والرّفاهيّة ويمتلك أضعافاً من الأشياء الجيّدة، فهو محروم بالمطلق وعارٍ. ولكن مع الأصدقاء الأمر مختلف. حتّى ولو كانوا فقراء فمعَهم أكثر من الأغنياء.

ما لا يجازف امرؤ بقوله لنفسه، فإنّ صديقه يقوله له. وما لا يستطيع تأمينه لنفسه، فيستطيع تأمين أكثر منه من خلال الآخرين. وهكذا يكون الصّديق لنا سبباً لكلّ سعادة وفرح. لأنّه من المستحيل أن يُصاب امرؤ ما بأذى وهو محاطٌ بكثرة من الحرّاس. حتّى حرّاس الإمبراطور الشّخصيّون ليسوا حريصين كما الأصدقاء. فأولئك يحرسون بالخوف من النّظام أمّا هؤلاء فبالمحبّة. المحبّة أكثر إلزاماً من الخوف. بالواقع، قد يخشى الملكُ حرّاسَه أمّا الصّديق فيثق بأصدقائه أكثر من نفسه وبسببهم لا يخشى المتآمرين عليه.

إذاً لندبّر هذه السّلعة لأنفسنا: الفقير حتّى يتعزّى عن فقره، والغنيّ حتّى تصبح ثرواته في أمان، الحاكم حتّى ينام بسلام والمحكوم حتّى يكون له حكّامٌ صالحون.

إنّ الصّداقة فرصة لعمل الخير ومصدر للرّحمة. حتّى بين الوحوش، فإنّ أكثرها وحشيّة وصعوبة مراس هي تلك الّتي لا تتآلف معاً. نحن نسكن المدن وعندنا أسواق حتّى نبني علاقات مع بعضنا البعض. هذا أمر به الرّسول بولس عندما حرّم (عبرانيين ٢٥:١٠). إذ لا شيء أسوأ من العزلة وغياب المجتمع والعلاقة مع الآخرين.

قد يتساءل البعض إذاً: ماذا عن الرّهبان، وعن المتوحّدين على رؤوس الجبال؟ إنّهم ليسوا بدون أصدقاء. لقد نزحوا عن جلبة الأسواق ولكن عندهم الكثيرون ممّن هم على اتّفاق معهم ومرتبطون ببعضهم البعض في المسيح. وهم قد انسحبوا إلى هناك لكي يتمّموا هذا الأمر. ولأنّ الحماسة في الأعمال تقود الكثيرين إلى النّزاعات فهم قد تركوا العالم ليحصّلوا المحبّة الإلهيّة بقوّة أكبر. قد يقول المشكّك: ماذا؟ إذا كان الرّجل وحيداً، كيف يكون له أصدقاء؟ أنا بالواقع أتمنّى لو كان ممكناً أن نعيش كلّنا معاً ولكن في الوقت نفسه أن تبقى الصّداقة ثابتة. إذ ليس المكان ما يصنع الصّديق.... إلى هذا، فالرّهبان عندهم الكثيرون ممّن يحترمونهم، ولا أحد يحترم إلاّ الّذي يحبّ. فالرّهبان يصلّون لكلّ العالم وهذا أكبر دليل على الصّداقة.

وللسّبب نفسه نحن نقبّل بعضنا بعضاً في القدّاس. حتّى نكون واحداً مع أنّنا كثيرون. ونحن نصلّي من أجل غير المؤمنين والموعوظين والمرضى وثمار الأرض والمسافرين في البرّ والبحر.

لاحظ قوّة المحبّة في الصّلوات وفي الأسرار المقدّسة وفي التّعليم. إنّها سبب كلّ الأمور الحسنة. إذا التزمنا بهذه الوصايا مع الانتباه اللاّزم فسوف نقدر على تدبير الأمور الحاضرة جيّداً والحصول على الملكوت.

سرّ الإفخارستيّا

عن نشرة رعيتي ٢٠٠١

أسّس الربّ يسوع، في العشاء الأخير الّذي أقامه لتلاميذه قبل صلبه وقيامته، سرّ الإفخارستيّا (لفظ يونانيّ يعني الشّكر). وهو السّرّ الّذي تتمّه الكنيسة في كلّ قدّاس إلهيّ من خلال تناول المؤمنين جسد المسيح ودمه، وذلك للاتّحاد به. سنعرض، هنا، لبعض الشّهادات الآبائيّة حول حضور المسيح الحقيقيّ في سرّ الإفخارستيّا وحول أهمّيّة المشاركة فيه لنوال الحياة الأبديّة.

إنّ فكرة الاتّحاد لا تغيب عن الآباء عند تناولهم موضوع الإفخارستيّا، الاتّحاد بالمسيح واتّحاد المؤمنين بعضهم ببعض. فالقدّيس أغناطيوس الأنطاكيّ (+١٠٧) يوصي أهل فيلادلفيا)في تركيّا الحاليّة(: «حاولوا جهدكم أن يكون لكم إفخارستيّا واحدة، لأنّ جسد ربّنا يسوع المسيح واحد. واحدة هي الكأس لوحدة دمه، وواحد هو المذبح أيضاً، وواحد هو الأسقف مع كهنته والشّمامسة». من هنا، تشديد الكنيسة الأرثوذكسيّة على عدم إقامة أكثر من قدّاس واحد في اليوم، وذلك لأنّ الرعيّة الواحدة مدعوّة إلى أن تكون واحدة لا عدّة وحدات متفرّقة. ويهاجم القدّيس نفسُه مَن لا يؤمن بحقيقة حضور المسيح في الإفخارستيّا، فيقول في ردّه على أصحاب بدعة الظّاهريّة الّذين كانوا يقولون إنّ المسيح لم يأخذ جسداً بشريّاً إلاّ بشكل ظاهريّ وتألّم ظاهريّاً وظاهريّاً مات أيضاً: «إنّهم يمتنعون عن التّناول وعن الصّلاة لأنّهم لا يقرّون بأنّ الإفخارستيّا هي جسد سيّدنا يسوع المسيح». إذاً، عدم الإيمان بحقيقة حضور المسيح في الإفخارستيّا يصبّ في خانة مَن ينكرون حقيقة تجسّد المسيح وصلبه وقيامته. وانطلاقاً من حقيقة التجسّد يدافع القدّيس يوستينس الشّهيد (+١٦٧) عن حقيقة الإفخارستيّا، فيقول: «بالطّريقة عينِها الّتي تجسّدَ بها كلمةُ الله والّتي بها اتّخذ المسيح جسداً ودماً، يصبح الغذاء المقدّس بالصّلاة الّتي علّمنا إيّاها جسدُ ودمُ هذا المسيح المتجسّد».

يستنكر القدّيس إيريناوس أسقف مدينة ليون (+٢٠٢) موقف مَن لا يؤمنون بقيامة الأجساد، فيتساءل: «كيف يستطيعون القول بأنّ الجسد يبلى ويفسد، وأنّ لا نصيب له في الحياة، بالرّغم من أنّ هذا الجسد قد تغذّى بجسد الرّبّ ودمه». ويلاحظ تالياً أنّ إيماننا يتطابق مع الإفخارستيّا والإفخارستيّا تؤكّد إيماننا. ثمّ يجري القدّيس اللّيونيّ مقارنة بين الإفخارستيّا والقيامة، فيقول: «فكما أنّ الخبز الآتي من الأرض والّذي تمّ تقديسه لم يعد خبزاً عاديّاً، كذلك أجسادنا بعد أن قبلتِ الإفخارستيّا لم تعد قابلة للفساد بل لها رجاء الأزليّة». الإيمان بالقيامة، إذاً، لا ينفصل عن الإيمان بالإفخارستيّا، فالخبز والخمر الصّائران جسدَ الربّ ودمَه هما ما يجعلان أجسادَنا غيرَ قابلة للفساد.

عند إيريناوس، الإفخارستيّا هي جسد المسيح وهي ليست جسداً ميتاً، بل جسد حيّ. وأجسادنا ما أن تتناوله بالإفخارستيّا فإنّما تستقبل الحياة وتتّصل بعدم الفناء، وفي هذا يقول قدّيسنا: «كيف يمكننا أن نعلن أنّ الجسد المتغذّي بجسد المسيح ودمه ليس أهلاً لنعمة الله الّتي هي الحياة الأبديّة؟». ويتابع إيريناوس شرحه قائلاً: «فكما أنّ عود العنب المغروس في الأرض يثمر ثمراً في أوانه، وكما أنّ حبّة القمح، الّتي تسقط في التّراب وتموت، تتكاثر وتنمو بروح الله المحيط بكلّ شيء، وكما أنّ هذه الأشياء تتحوّل بحكمة الله إلى خدمة الإنسان، وكما أنّه بكلمة الله تتحوّل إلى إفخارستيّا، أي إلى جسد المسيح ودمه، كذلك أجسادنا، الّتي تغذّت بها والّتي توضع في التّراب وتنحلّ فيه،

ستقوم في أوانها لأنّ كلمة الله ستقيمها لمجد الله الآب».

نجد القدّيس أثناسيوس الكبير (+٣٧٣) واضحاً عند حديثه عن الإفخارستيّا، فهو يقول: «سترى الكهنةَ يهيّؤون خبزاً وخمراً يضعونهما على المذبح. وما دامت الأدعية والصّلوات لم تبدأ، يبقى الخبز مجرّد خبز والخمر مجرّد خمر. ولكن، عندما يتمّ رفع الأدعية والصّلوات، آنذاك يتحوّل الخبز والخمر إلى جسد الرّبّ ودمه». يكرّر القدّيس كيرلّس الأورشليميّ (+٣٨٦) الكلام ذاته، إذ يقول: «إنّ الخبز والخمر كانا، قبل استدعاء الثّالوث الأقدس عليهما، مجرّد خبز وخمر عاديّين. ولكن بمجرّد ما تمّ هذا الاستدعاء وهذا الابتهال، تحوّل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه. يستغرب القدّيس كيرلّس كيف ينكر البعض حقيقية تحوّل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه، فيقول: «عندما أعلن المسيح وقال عن الخبز هذا هو جسدي، مَن الّذي تبقى له الجرأة على الشكّ بعد ذلك؟ وعندما أعلن وقال هذا هو دمي، فمَن الّذي يجرؤ أيضاً على أن يقول بأنّ هذا ليس دمه؟». وللدّلالة على صحّة ما يقوله، يستند القدّيس الأورشليميّ إلى آية قانا الجليل عندما حوّل السّيّد المسيح الماء إلى الخمر، «فكيف لا نؤمن ولا نصدّقه عندما يحوّل الخمر دماً؟».

ختاماً، نورد هذا النصّ للقدّيس غريغوريوس النّيصيّ (+٣٩٤) الّذي يعبّر خير تعبير عن أهمّيّة سرّ الإفخارستيّا بالنّسبة إلى حياة الإنسان الأبديّة، فهو يقرّر: «فكما أنّ القليل من الخميرة يخمّر كلّ العجين، فكذلك هذا الجسد (جسد المسيح) يبدّل جسدنا ويحوّلنا إلى صورته، وذلك عندما يدخل هذا الجسدَ». تؤمن الكنيسة أنّ الحياة الأبديّة تبدأ هنا في هذا العالم، وهي ليست أمراً ينتظره المؤمنون ولن يأتي إلاّ في المستقبل. لقد أتاح الرّبّ لنا بقيامته المشاركة في حياته، وما الإفخارستيّا إلاّ هذا المجال الّذي يجعلنا متّحدين به منذ اللّحظة الّتي نقول له فيها نَعَم وإلى الأبد.

ملاحظة: في كنيستنا في الكويت نقيم قدّاساً في صباح الجمعة وآخر في صباح الأحد فقط، بينما قدّاس المساء يكون لعيد قدّيس اليوم التّالي، ويُقام من بعد الغروب، حيث أنّ اليوم الكنسيّ يبدأ من صلاة الغروب، وبالتّالي فإنّ قدّاساً واحداً فقط يُقام في اليوم. (اقتضى التّوضيح).

مذكّرات طفل

الأرشمندريت أفرام الطعمي

١٢/٢٤: أبي هل تشعر بنبضات قلبي تتسارع، أشعر وكأنّه يحاول الخروج من مكانه ليرقص فرحاً، ليعبّر عن وسعه وفيضه وملئه الكلّ في الكلّ. هل الأمر طبيعيّ يا أبي أم أنّه هذا العام يترقّب أمراً مختلفاً! ينتظر تغييراً، يترجّى عيداً دون سائر الأعياد، يترقّب هديّة التحفت قلباً وشغلت ذهناً وملكت حياةً. أتراه بنبضه السّريع، يا أبي، وقوّة ضرباته بمُريدٍ أن يُسمعَ الكلّ بأنّه الحبُّ، السّيفُ القاطعُ، الحياةُ. لا أستطيع يا أبي أن أعبّر لك أكثر بالرّغم من أنّني أريد، ولكنّ الانتظار بات يغمرني شوقاً إلى لقاءِ المحبّين. وإلى الفرح والتّعييد مع أحبّائي.

١٢/٢٥: ذهولٌ، حزنٌ، دموعٌ، قلبٌ مكسورٌ، ألمٌ على إنسانيّة تحطمت، ....

١٢/٢٦: في هذا الصّباح حدّثني أبي وقال لي: بنيّ لما البكاء والحزن والألم؟ أهكذا يفرح الطّفل بميلاده! أهكذا يعيّد من هو محبوب الكلّ! أهكذا يعيّد مولودي مع من ولدهم في جُدداً! خاطبني يا ابني. كيف احتفلت وكيف عيّدوا واحتفلوا بك.

أجبته: ماذا أقول يا أبي، الأرض ما عادت أرضي، والنّاس ما

عادوا ناسي، والعيد ما عاد عيدي، فلسطين الحبيبة مسقط رأسي وموطئ قدميّ واستناد رأسي، هناك حيث مذودي ومغارتي وحيواناتي ونجمي ومنتظريّ وهداياي الثّمينة، ما عادت بموجودة. اليهود اغتصبوها وعادوا يُتاجرون بهيكلها ويبيعون ويشترون بي في بيتي وبلدي. عاثوا فيها فساداً وقتلاً وتشريداً، ما عدت أرى إلاّ الدّموع فيها. أمٌّ تبكي ولدها الشّهيد. زوجةٌ تبكي زوجها الشّهيد، ولدٌ يبكي أباه الشّهيد، طفلة تبكي أمّها الشّهيدة. أهكذا الحياة يا أبي؟ أواجب أن يكون هناك موتٌ؟ أليس من الممكن أن تكون هناك الحياة من الحياة أم أنّ الموت بات غذاء الحياة. أنا الحياة، وَلَدْتُ الحياة ووُلدت للحياة، ولكي ما يحيا في كلّ حيٍّ وكلّ حياة.

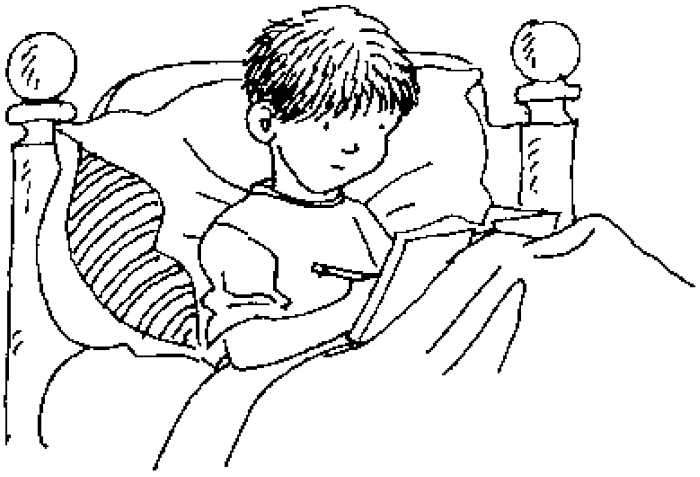

أبي: ماذا أخبرك عن العراق حيث منها دعوتَ إبراهيمَ وقلت له هلمّ إليّ، فبِكَ سيكون الوعد وكلٌّ من حمل إيمانك وثقتك سيعاين ميلاد ابني على الأرض في ملئ الزّمان. أيضاً اليهود يا أبي دمّروها وحرقوها وهم يضّطهدونني في بيوتي ويقتلون من يترنّمون باسمي ويخدمون خاصّتي. الدّموع يا أبي تلفّ الجميع والحزنُ بات في كلّ بيتٍ. والسّواد التحفت به جميع العائلات. فمنهم من فَقَد طفلاً ومنهم من أودع التّراب أباً شهيداً أو أخاً شهيداً أو أمّاً شهيدة أو أختاً شهيدةً. هل الشّهادة الدّمويّة باتت مطلباً أم باتت شراباً يسكر به المجرمون (.....). ذبيحة الصّليب حسبتها يا أبي آخر ذبيحة دمويّة تُقدّم على مذبح الحياة، فما بالي أرى النّاس ذبائح يقدّمها المجرمون على مذبح الحياة فيَسكروا بدمائهم ويغتذوا بأجسادهم.

أبي: لبنان يا أبي حيث أرزك سبّحكَ منذ آلاف السّنين وصنين

رنّم لك، يتحوّل إلى ألم وحزن وكراهيّةٍ وبغضٍ. النّاس ماعادت بتلك المَحبّة، والعصبيّة الطّائفيّة الانعزاليّة تلفّ الجميع. البلد بلدي والنّاس ناسي ولكنّ الّذي يعُبد فيها الشّخص الإنسانيّ، والزّعيم الطّائفيّ. النّاس في حرب، والفقرُ يلفّ الجميع والحاجةُ باتت خبزَهم اليوميّ. أهكذا بات عيدي يا أبي، أهذا هو ميلادي يا أبي؟

أبي: توجّهت إلى العالم علّي أرى ما يعزّيني في أحبّتي يوم مولدي، النّاس في اللّهو ساهون وفي غيري مشغولون. زينةٌ وأفراحٌ وموائد وألبسة وأنوارٌ، قلت هيّأوها لي وينتظرون قدومي كي يُطفئوا الشّموع الّتي زادت عن الألفين، لكن ما من أحدٍ يفتح الباب وأنا ما زلت أنتظر، أقرع وأقرع وأقرع وما من سامعٍ. سمينٌ بثوب أحمرٍ تارةً وأخضرٍ تارةً أخرى تهلّلوا له، وتقاطر الأولاد يرحّبون به. يتناولون من يده الهدايا، وأنا الطّفل من دون هديّة وأنا هو الهديّة. الفقرُ والحاجةُ والألمُ والحزنُ يلفّ العالمَ، لكنّ قلب الإنسان ما عاد ينفطر لأجل أخيه الإنسان. الأنانيّة ومحبّة الذّات باتت مستوليةً على الجميع. والكلّ يسأل مصلحته الشّخصيّة وأناته. زالت المحبّة من قلوب النّاس، وما عدت تجد من يبحث عن جائعٍ ليطعمه، أو عطشٍ ليسقيه، أو عريانٍ ليكسيه، أو مريضٍ ليزوره، أو متشرّدٍ ليأويه، ... فكلّ من لا يصنع بأحد أخوتي هؤلاء الصّغار محبّةً ورحمةً فلا يستحقّني ولا يستحقُّ أن أولد فيه وأجدّده.

المحبّة يا أبي! المحبّة أين هي؟ هل زالت؟ هل اختفت؟ هل انسلّت من قلوب البشر فباتت متجمّدة في صقيع قلوبهم وبرودة أحاسيسهم. أين هي يا أبي؟ هل فشلت يا أبي؟ أفشلت في جعلهم أبناء السّماء؟ أفشلت يا أبي في رفعهم لفكر السّماء؟ أفشلت يا أبي في جعلهم يحبّون بعضهم البعض كما نحبّ نحن بعضنا بعضاً. هل فشل المذود الّذي حضنني في جعل قلوبهم مذاود تواضع لي؟ هل فشل النّجم الّذي هدى ملوكاً أن يقودهم لمكان مولدي؟ هل فَشِلتْ الحيوانات الّتي عرفت مَعلفَ سيّدها في نزع بهيميّتهم لتصير إنسانيّتهم الّتي أردتها لهم هي الفاعليّة بينهم؟ هل فشل الأردنُ الّذي فيه ظهر برّي في برارة حياتهم؟ هل فشل تعليمي في رفع ذهنهم وقلبهم لفكري أنا الإله الحقيقيّ؟ هل فشلت أفعال رحمتي وعجائبي من فتح عيونهم وشفاء مخلّعيهم وتعافي مرضاهم وإقامة موتاهم في تبديل نهج حياتهم؟ هل فشل صليبي في فتح قلوبهم وبصيرتهم لإدراك عظم محبّتي. هل فشلت قيامتي من بين الأموات ودوسي الموت بالموت وقهر الجحيم في منحهم الحياة؟

هل فشلت يا أبي؟ إنّي لمتأكّدٌ أنّني لم أفشل. ولن أفشل ما دام هناك واحد محبٌّ، واحدٌ مسبّحٌ، واحد متواضعٌ، واحدٌ خادمٌ، واحدٌ باذلٌ نفسه لأجل الّذين يحبّهم. لم أفشل يا أبتي ولن أفشل ما دام جرس المهد يُقرع، والتّرنيم يعلو والتّسبيح يصدح مهلّلاً بميلادي. لم أفشل ولن أفشل يا أبتي ما دام مذودي يعتني بكلّ طفل، ونجمي يهدي كلّ تائه. لم أفشل يا أبتي ولن أفشل ما دام صليبي يقهر الجحيم ويعزّي كلّ تَعِبٍ وكلّ ذي همٍّ وألمٍ وحزنٍ. لم أفشل يا أبتي ولن أفشل ما دام القبر يفيض نوراً يبشّر بنهارٍ قياميّ جديدٍ وبخلاصٍ قائمٍ. لم أفشل يا أبتي ولن أفشل مادامت أمّي تشفع بكلّ طفل فَبِكَوْنِها أمّي هي أمّهم، وبِكَوني ابنها فهم إخوتي، وبِكونهم إخوتي فهم خاصّتي وأحبّتي وشركائي. لم أفشل ولن أفشل يا أبتي ما دامت في الإنسان إرادة وقوّة للتّغيير والمحبّة. لم أفشل ولن أفشل يا أبتي لأنّك أنت أبي وهم إخوتي فأنت أبوهم فأذكرهم دائماً يا أبي وكما أنت تحبّني هكذا أحببهم وارحمهم، لأنّك أنت الحبّ أنت الحنان أنت الرّحمة.

يسوع ٢٠١٠/١٢/٢٦

ميلاد ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح

عظة للقدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفم

إنّني أشاهد سرّاً عجيباً مستغرباً. الرّعاة يصعّدون بأعلى صوتهم نغماً سماويّاً. الملائكة، رؤساء الملائكة، الشّاروبيم والسّارافيم يسبّحون (لوقا٢) الكلّ يعيّد مشاهداً إلهاً على الأرض وإنساناً في السّموات. ما هو فوق ينحدر بحسب التّدبير، وما هو تحت يرتفع بمحبّته للبشر. اليوم تتشبّه بيت لحم بالسّماء، تتقبّل بدل الكواكب ملائكة يسبحّون، وبدل الشّمس شمس العدل تستضيفها بطريقة لا توصف. لا تسأل عن كيف لأنّه حيث يشاء الله يُغلب ناموس الطّبيعة. لقد شاء واستطاع، انحدر وخلّص وأرفق بكلّ شيء إلى الله. اليوم يولد الكائن الّذي يصير إلى ما لم يكن لأنّه وهو الله قد صار إنساناً من دون أن يتحوّل عن ألوهيّته. كما أنّه لم يخرج عن كونه إنساناً ليصير إلهاً. هو الكلمة الّذي صار جسداً من أجل تطهيرنا ولم يزل محافظاً على طبيعته الإلهيّة.

لكن عندما وُلد أنكر اليهود الولادة الغريبة، حرّر الفرّيسيون الكتب الإلهيّة وتكلّم الكتبة بخلاف النّاموس. كان هيرودس يطلب المولود لا ليكرّمه بل ليهلكه.

اليوم أشاهد كلّ شيء مخالفاً لأنّه حسب المزمور: «لم يُكتم عن أولادهم إلى جيل آخر» (مز ٧٧:٤). الملوك معجبون بأمر الملك السّماويّ: كيف أنّه أتى لا تواكبه الملائكة، لا رؤساء الملائكة، لا العروش، ولا السّيّادات ولا القوّات ولا السّلاطين، بل وطئ طريقاً غريبة غيرَ مسلوكة، خرج من بطن بلا زرع من دون أن يتخلّى عن العناية بملائكته، وتجسّد من أجلنا من دون أن يفارق ألوهيّته.

أتى الملوك ليسجدوا لملك المجد، الجنود ليخدموا رئيس القوّات، النّساء ليروا الّذي ولد من امرأة لكي يحوّل أحزان المرأة إلى فرح، العذارى ليشاهدْنَ ابن العذراء: كيف أنّ الخالق المغذّي الينابيع والمسيّر الأنهار الجارية تلقائيّاً، يُحمل على ساعدي أمّ عذراء ويتناول غذاءَ طفل؟ الأطفال ليروا الصّائر طفلاً «من فم الأطفال والرّضع نظّمت لك تسبيحاً» (مز ٨:٣). الأولاد ليروا الولدَ الشّاهد لحيلة هيرودس، الرّجال أمام الّذي صار إنساناً ليشفي أمراض البشر، الرّعاة أمام الرّاعي الصّالح الّذي يبذل نفسه من أجل الخراف، الكهنة أمام الّذي صار رئيس كهنة على رتبة ملكيصادق، العبيد أمام الذي أخذ صورة عبد لكي يعتقنا من العبوديّة، الصيّادون أمام الّذي صيّر التّلاميذ صيّادي البشر، العشّارون أمام الذي حوّل العشّار إلى مبشّر بالإنجيل، الزّناة أمام الّذي تقبّل مسح قدميه بدموع الزّانية. ولكي أقول باختصار جاء الخطأة كلّهم ليشاهدوا حمل الله الرّافع خطايا العالم: المجوس يقدّمون الهدايا، الرّعاة يمجدّون، العشّارون يُبشرون، الزّناة يحملن الطّيوب، السّامريّة تسارع إلى ينبوع الحياة والكنعانيّة تتقبّل إيماناً لا ريبَ فيه.

أودّ أن أرقص إذ أرى الكلّ يرقصون، أودّ أن أغنّي معهم، أن أحتفل مع الجميع. أغنّي لا ضارباً على القيثار ولا محرّكاً الكنّارة، لأنّني عوض الآلات الموسيقيّة أحملُ أقمطة المسيح. هذه تشكّل رجائي، هذه هي حياتي، هي خلاص، هي محفلي الغنائيّ، هي قيثارتي. لذلك آتي حاملاً إيّاها لكي بقوّتها أستطيع أن أرتّل مع الملائكة:

«المجد لله في العلى»

«وعلى الأرض السّلام وفي النّاس المسرّة» (**لوقا ٢:١٤**)

اليوم المولود من الآب بصورة لا يُنطق بها يولد من عذراء لأجلي بصورة لا توصف

ولُد قبلاً من الآب قبل الدّهور بالطّبيعة كما علم الوالد. اليوم يولد أيضاً بخلاف الطّبيعة كما ظللّت نعمة الرّوح القدس. الولادة الّتي من فوق حقيقيّة والولادة الحاضرة غير كاذبة. وُلد إلهاً حقّاً من إله حقّ واليوم يولَد إنساناً حقّاً من عذراء حقّة. فوق كان وحيداً من إله واحد وهنا يأتي وحيداً من عذراء وحيدة. لأنّه لاوجود لأمّ في ولادته العلويّة كما من التّجديف اعتبار وجود أب في ولادته الحاضرة. الآب ولد بدون سيلان والعذراء ولدت بدون فساد. اللّه الآب لم يعرف سيلاناً عند ولادته لأنّه ولد كما يليق باللّه والعذراء لم تعرف فساداً لأنّها ولدت بقوّة الرّوح القدس. لذلك لا الولادة العلويّة تعرف تفسيراً ولا بروزُه في آخر الأزمنة يحمل شرحاً مفصّلاً. نعم أنا أعلم أنّ العذراء ولدت اليوم كما أؤمن أنّ اللّه ولد قبل الزّمن. لقد تعلّمت أن أصمت عن طريقة الولادة احتراماً ولا أسترسل في التّفسير.

فيما لأعمال اللّه لا نهتمّ بطبيعة الأحداث بل نؤمن بقدرة فاعلها. من ناموس الطّبيعة أن تلد المرأة بعد الزّواج، لكن الأمر يفوق الطّبيعة عندما تلد عذراء لا تعرف زواجاً وتبقى بعد الولادة عذراء. أنا أشهد ما هو طبيعيّاً وأوقّر صامتاً ما يفوق الطّبيعة لا في سبيل التّهرّب منه بل كونه يستحقّ الصّمت وعدم النّطق به. كنت أودّ ألاّ أقول شيئاً لأنّي لا أعرف كيف أحرّك عجلة الكلام لمزيد من الإيضاح. بماذا أتكلّم وماذا أقول؟ أرى الولادة وأعاين المولود ولا أفهم شيئاً عن طريقة الولادة. يُغلب نظام الطّبيعة حيث يشاء اللّه، لأنّ الحدث لم يكن بحسب الطّبيعة. يا لها من نعمة لا توصَف! إنّ المولود الوحيد قبل الدّهور، غير الملموس، البسيط، غير المتجسّم يتّخذ جسدي الفاسد المنظور. حتّى يعلّم الّذين يشاهدونه ويقودهم بتعليمه إلى ما لا يشاهد.

النّاس يثقون بنظرهم أكثر من سمعهم، ويشكّون بما لا يشاهدونه. لذلك شاء عن طريق الجسد أن يكون منظوراً بالعين لكي يحلّ عنصر التّشكيك. يولد من عذراء تجهل الأمر لم تشارك في فعل الحدث بل كانت أداةً طريّة لقدرته الّتي لا توصف لكنّها استَفْهمت فقط عند سؤالها لجبرائيل: «كيف يمكن أن يكون هذا وأنا لا أعرف رجلاً؟» (لوقا ١:٣٤)، فأجابها «إنّ الرّوح القدس يحلّ عليك وقوّة العليّ تظلّلك» (١:٣٥). كيف وُجِدَ الرّوح معها وبعد لحظة غاردها؟ كمثل فنّان وجد مادة مناسبة وفي غاية الجمال والنّقاوة وصنع منها آنية له، هكذا حصل مع المسيح الّذي وجد العذراء قدّيسة جسداً ونفساً فاتّخذ له منها هيكلاً متنفّساً. هكذا شاء أن يجبل الإنسان في العذراء ويلبسه بدون خجل من بشاعة الطّبيعة. لباسه الجسد هذا لم يجلب عليه أيّ عيب بينما اكتسبت جبلته مجداً عظيماً حين أصبحت لباس الفنّان نفسه.

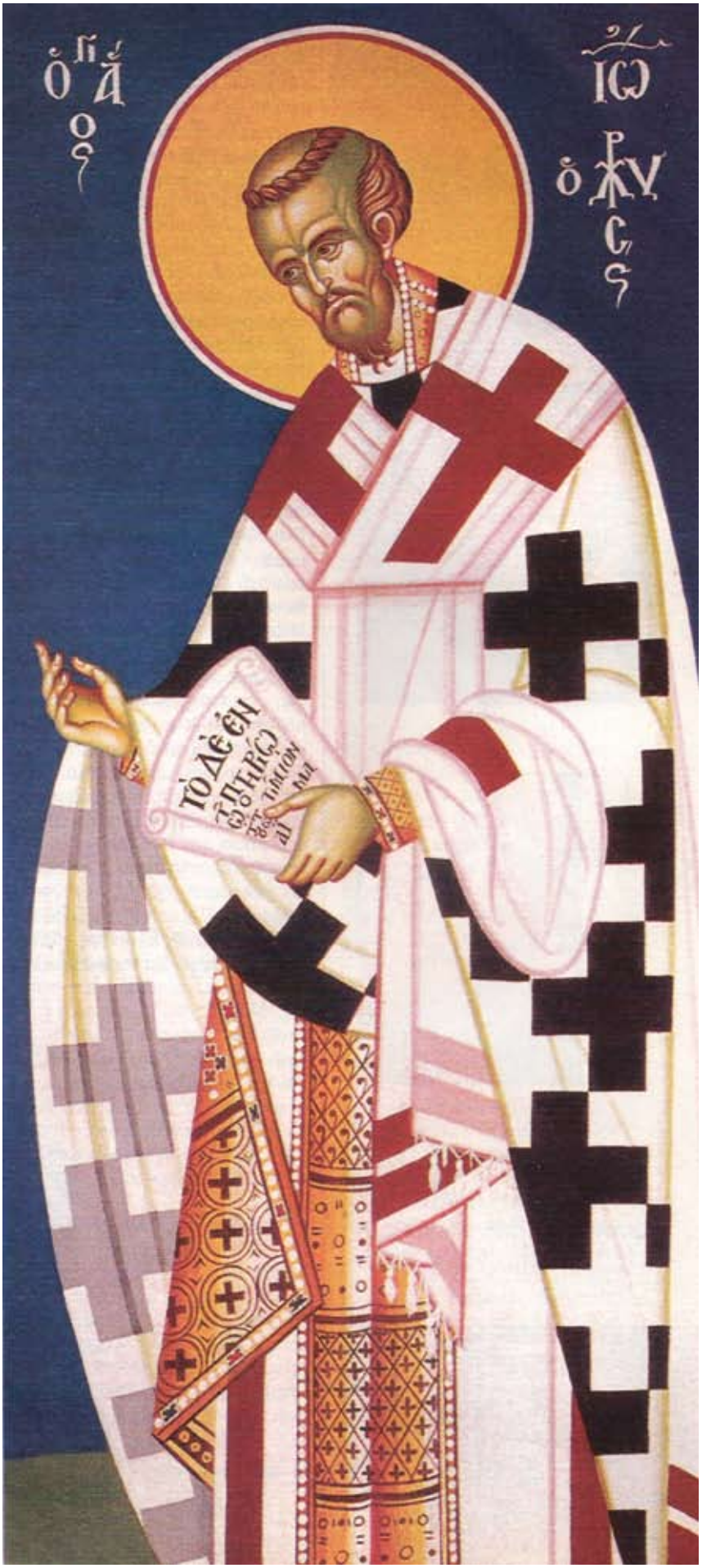

كما في أوّل الجبلة لم يشأ أن يُخلق الإنسان إلاّ بلمس يديه كذلك لم يكن ممكناً أن يعيدَ جبلة هذه الآنية الفاسدة إلاّ بجعلها لباساً للخالق. لكن بماذا أتكلّم وماذا أقول؟ إنّ العجب محيّر: القديم الأيّام يصبح صبيّاً، الجالس على عرش عالٍ يضجع في مغارة غير الملموس، البسيط غير المركّب ولا المتجسّم يلفّ على أيدي البشر، الّذي يفكّ رباطات الخطيئة يُربط بالأقمطة لأنّه هكذا يشاء، يريد أن يحوّل ما هو مُزدَرى به إلى كرامةٍ، أن يُلبس ما لا مجدَ له سربالَ المجد وأن يُظهر ما هو جدير بالإهانة سبيلاً للفضيلة. هكذا اتّخذ جسدي لكي أحوي كلامه وأتقبّل روحه حتّى إنّه عن طريق هذا الأخذ والعطاء أحصل على كنز الحياة:

يأخذ جسدي ليقدّسني ويُعطي روحه ليخلّصني.

بما أنّ الوثنيّين واليهود لم يؤمنوا بأنّ اللّه ولد بدون ألم وسيلان، لذلك اليوم جاء من جسد قابل للألم حافظاً الجسد بدون تألّم (بدون هوى بدون خطيئة) ليبيّن أنّه كما ولد من عذراء من دون أن يحلّ عذريّتها كذلك اللّه ولد إلهاً بما يليق به حافظاً الجوهر المقدّس بدون استحالة. وبما أنّ البشر ابتعدوا عنه وعبدوا الخليقة والأصنام على شبههم إهانة للخالق لذلك اليوم كلمة اللّه الكائن إلهاً يظهر بهيئة إنسان لكي يضمحل الكذب ويعيد لنفسه العبادة الحقيقيّة. هذا وللمسيح الإله ينبغي كلّ مجد مع الآب والرّوح القدس الآن وكلّ أوان وإلى دهر الدّاهرين. آمين

أحببت فتكلّمت

فادي عدره

جاء الرّبّ يسوع المسيح للجميع، والدته العذراء مريم أمٌّ للجميع، القدّيسون والشهداء انتقلوا وهم يحملون كلمة المسيح للجميع، سُفكِتْ دماؤهم، جُلدوا، لُطموا، سُجنوا من أجل المسيح. لنلقي نظرة إلى أيقونة الميلاد،، فنجد الفقير في الرّعاة، والغنيّ في الملوك، نجد الملائكة والأنبياء والحيوانات، إذاً لقد جاء المسيح متواضعاً بعيداً عن التّكبّر، تنازل عن عرشه وسكن بين خليقته أجمع وعاش معهم، أكل، شرب، نام، بكى، صلّى...، كلّ هذا لنكون واحداً فيه. لقد جاء لفرح الجميع وخلاصهم.

الجميع واحد في الكنيسة، الجميع متساوٍ، لا فرق بين الشّخص والآخر «فلا فرقَ بين اليهوديّ واليونانيّ، إذْ للجميعِ ربٌّ واحدٌ يجود على جميعِ الّذين يدعونَه». (رو١٠:١٢)، الجميع يعمل لكنيسة واحدة، جامعة، مقدّسة، رسوليّة، رأسها المسيح، ونحن أعضاء فيها. هكذا بشّر التّلاميذ الشّعوب، وهكذا عاشوا، بمحبّة وإيمان، أحبّوا المسيح الّذي بذل نفسه من أجل الجميع بمحبة مطلقه. أحبّوا المسيح الموجود في داخل كلّ مسيحيّ، لهذا بذلوا أنفسهم واستشهدوا واضطهدوا من أجله. ما عرفوا يوماً أنانيّةً ولا انفصالاً، بل كانوا واحداً يجمعهم اسم الرّبّ يسوع المسيح، لا أحد آخر سواه «ليس يهوديّ ولا يونانيّ .ليس عبدٌ ولا حرٌّ. ليس ذكرٌ وأنثى لأنّكم جميعاً واحدٌ في المسيح يسوع» (غلا ٣:٢٨).

هكذا هي الخدمة، نقدّمها للرّبّ يسوع، فجميعاً نعمل له، ونخدم له، تحت كلّ الضّغوطات والخلافات، علينا أن نعمل بمحبّة كما أوصانا بولس الرّسول: «بالمحبّة اخدموا بعضكم بعضاً» (غلا٥:١٣). لربّما العاطفة تلعب دوراً كبيراً في عملنا، تجعلنا ننحاز بعض الأوقات للتّفريق في العمل، فتغلب المراءاة ومحاباة الوجوه على الصّدق والأمانة في العمل، فنتحوّل من المحبّة والبذل إلى الأنا والانغلاق. لا ضير في الانتقاد وفي وضع الإصبع على مكان الجرح ولكن ليكن كلامنا وإصبعنا متحرّكين بالمحبّة كبطرس وبولس، اللّذين رغم اختلافهما بَذَلا نفسيهما شهيدين للمسيح في روما.

أمثال شعبيّة من الكتاب المقدّس

خلّيها على اللّه.

القِ على الرّبّ همّك فهو يعولك (مز ٥٥:٢٢)

†

لاتؤجّل عمل اليوم إلى الغد.

ينبغى أن أعمل أعمال الّذى أرسلنى مادام نهار (يو ٩:٤)

†

اللّى بيته من زجاج لايقصف غيره بالحجارة.

لماذا تنظر القذى الّذى فى عين أخيك وأمّا الخشبة الّتى فى عينك فلا تفطن لها(مت ٧:٣)

†

مِن بَره اللّه اللّه ومن جُوه يعلم اللّه.

يأتونكم بثياب الحملان ومن داخل ذئاب خاطفة (مت ٧:١٥)

†

إن كان الكلام من الفضّة فالصّمت من الذّهب

ليكن كلّ إنسان مسرعاً فى الاستماع مبطئاً فى التّكلّم مبطئاً في الغضب (يع ١:١٩)

†

لسانك حصانك إن صنته صانك وإن خنته خانك.

بكلامك تتبرّر وبكلامك تدان(مت ١٢:٣٧)

†

اعمل الخير وارميه البحر.

القِ خبزَك على وجه المياه تجده بعد أيّام كثيرة (جا ١١:١)

†

يابخت المظلوم وهو بريء.

طوبى لكم إذا عيّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كلّ كلمة شريرة من أجلي كاذبين (مت ٥:١١)

†

جيبتك ياعبد المعين تعينّى لقيتك ياعبد المعين بدك تتعان.

إن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة (مت١٥:١٤)

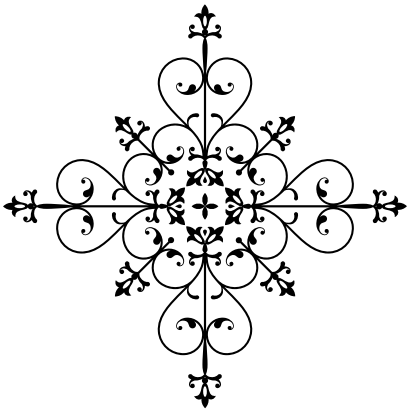

استيقظ أيّها النّائم

الأرشمندريت أفرام الطعمي

يقول الرّسول بولس في رسالته إلى أهل أفسس: (٥: ٨- ١٩) اسلكوا كأولاد للنّور... استيقظ أيّها النّائم وقم من بين الأموات فيضئ لك المسيح... اسلكوا بحذرٍ لا كَجُهلاء مفتدين الوقت فإنّ الأيّام شريرة... امتلئوا من الرّوح القدس مكلّمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانٍ روحيّة...

استيقظ أيّها النّائم، استيقظ أيّها المسيحيّ، استيقظ أيّها الإنسان، ليس إنّك في حالة نومٍ جسديٍّ وإنّما أنت في حالة نومٍ روحيٍّ. استيقظ وانهض من حالتك الّتي واجب عليك أن تسأمَها. ما هكذا يكون الإنسان ولا على هذه الهيئة يكون المسيحيّ. ما أرادنا الله أن نكون بِهكذا وضع وننحوَ بِهكذا منحى. نحن من النّور أتينا وأبناء للنّور حاصلون، والّذين هم في هذه الحالة هم في يقظةٍ دائمة وفي جهوزيّةٍ دائمة. المسيح نور والسّالكون به هم أنوارٍ من نور.

يخلد الإنسان إلى الكسل وإلى الخطيئة وإلى الخديعة عندما يكون في الظّلمة. النّور يبدّد قتامة حياتنا. ويفضحُ أفعالنا الّتي نصنعها في الظّلمة، فتصير لنا اليقظة والاستيقاظ والنّهوض من جبّ الخطيئة إن كانت لنا الإرادة القويّة والقوّة الفاعلة والقائدة إلى التّغيير.

استيقظ أيّها المسيحيّ لأنّ اليقظة تجعلك ترى بوضحٍ الطّريقَ الواجب سلوكه، فالعين المظلمة لا يمكنها أن تقودنا إلاّ إلى حيث اللاّحقيقة واللاّوضوح واللاّإنسان، فأعمى لا يقود أعمى، والعين الّتي لا بصر فيها لا يمكنها أن تمنح البصيرة لقلوبنا. استيقظ أيّها المسيحيّ ولا تكن كالْجُهلاء الّذين لا حقيقة عندهم. فأنت تملك الحقيقة لأنّها هي كَشَفَتْها لكَ. فالمسيح، الحقيقة المطلقة، حضر بيننا في الجسد وصار إنساناً وتصرّف فيما بيننا وقال لنا تعلّموا منّي (أنا الحقّ) فإنّي وديعٌ ومتواضعُ القلب. القلب الوديع والمتواضع هو مسكن الله هو مسكن الحقيقة، هو انتفاء الجهل وبدء الحكمة، وبدء الحكمة هو مخافة الله، ومخافة الله تقود إلى مسلكيّة نورانيّة للإنسان. فاستيقظ أيّها المسيحيّ وانهض وكن من أبناء الحكمة لا الجهل.

استيقظ أيّها المسيحيّ فأين أنت سالك. الأيّام شريرة وواجب عليك افتداء الوقت فيها، وهذا لا يكون لا بالكسل ولا بالتّواني ولا بالاستكانة إلى الحالة الّتي نحن عليها وكأنّ بقوّة التّغيير الّتي فينا، وقوّة الإرادة الّتي نملكها، باتت ضامرةً، لا حول لها ولا قوّة في تبديلنا وتغييرنا من أناسٍ بالينَ إلى أناسٍ جُددٍ في المسيح يسوع. الوقت -كما يقول المثل الشّعبيّ- كالسّيف إن لم تقطعه قطعك، والعديد من الآباء يقولون: كلُّ وقت يعبر بالإنسان دون أن يتمجّد الله فيه لا يُحسَب من أيّامنا. فافتدي الوقت أيّها الإنسان النّائم وانهض واستيقظ ليتمجّد الله فيك وفي أفعالك.

القدّيس
بولس الرّسول

(ليتمجّد الله فينا) يعني أن نبلغ القداسة، والقداسة هي اجتهادٌ، وتعبٌ، ودمٌ مبذول، وأعراقٌ تُسكب على مذبح الإنسانيّة فنقوم من وضاعتنا. القداسة دعوةٌ، امتلاءٌ بالرّوح القدس، سماء تصير على الأرض. يقظة لكلّ ما هو حولنا وانتباه لما هو قادر أن يعكّر صفو حياتنا ويشتّت هدفنا الأساسيّ في الحياة ألا وهو الامتلاء من الرّوح القدس.

استيقظ أيّها المسيحيّ النّائم ودع المسيح يولد فيك من جديد. استيقظ أيّها النّائم ولتتولد جديداً أنت في المسيح، لا يمكن جعل الخمرة الجديدة في الزّقاق العتيق، ونحن الآن في جدّة الحياة والمسيح يحلّ على الأرض متجسّداً فإن ما زلت في عتاقتك فلستَ بِقادر أن تحوي المسيح فيك. عليك أن تتجدّد. عليك أن تنهض. عليك أن تقوم من بين الأموات. لأنّ الأموات وحدهم ليسوا بِقادرين أن يرنّموا، ويسبّحوا، ويمجّدا الله في الأعالي، ويجعلوا الأرضَ مقرّ سلام ووئام، والإنسانَ في الفرح والمسرّة الأبديّة. فاستيقظ أيّها المسيح وقم فيتمجّد بك الله وتتمجّد أنت فيه.

غداء الميلاد – رعيّة البحرين

البازار الخيريّ السّنويّ – رعيّة الكويت

معرض الميلاد – رعيّة الكويت

الكيرمس الأوّل للموسم ٢٠١٠–٢٠١١ – رعيّة الكويت

عيد القدّيس يعقوب الحمطوريّ – رعيّة الكويت

احتفالات عيد الميلاد – مدارس الأحد – رعيّة الكويت

قدّاس عيد الميلاد – رعيّة الكويت

غداء عيد الميلاد – رعيّة الكويت

عيد القدّيس فيلمن الرّسول (شفيع قدس الأب فيلمن) – رعيّة الكويت

سيامة الشمّاس يوسف عرب كاهناً

هاتف: ٢٥٦١٧٣٦٧ ٩٦٥+ - فاكس: ٢٥٦٣١٥٣٨ ٩٦٥+
صندوق البريد: ص.ب٨١٧٣ السالمية ٢٢٠٥٢ الكويت
الموقع الإلكتروني: www.gulforthodoxchurch.org